



آنت ميثر

مرّة في العسر



مرّة في العسر

العاطفة الصادقة تطلق سهمها باكراً، ومرّة في العمر.
 هاربيت في مطلع صباحها عندما يغزو الفرنسي اندريه قلبها
 بسحر شخصيته ووسامته الفضة، ولكن ماذا تعرف عن حياته؟
 قرر فجأة ودون سابق انذار ان يسدل ستاراً كثيفاً على قصة
 حبهما المتأججة، طاعناً اياها في الصميم بشكل لا يغتفر او
 ينسى. لكن وراء اخفاء اندريه سرا عميقاً اخفاء عنها منذ
 البداية، ولما التقت مجدداً بعد ثماني سنوات من الفراق المر،
 ظل محتفظاً بصمته امام اتهاماتها المهينة الشرسة.

لا شيء يغير ما حصل من قبل. الماضي يقف جداراً بينهما.
 وبما انها لم تقدر ان تثق به سابقاً، كيف يمكنها ان تثق به الآن؟
 وفرضاً انها توصلت الى كشف السر الدفين الذي يعذبها، هل
 تجد في نفسها المقدرة على الغفران بعد طول كراهية وحقد؟

العنوان الاصيل لهذه الرواية بالانكليزية
DEVIL IN VELVET

١ - بيت من الغبار

كان الباب مردوداً فلم نحتج الى المفتاح، ولما دفعته فاحت رائحة قوية من العفن والرطوبة اثارت اشمزازها كأنها رائحة تفاح فاسد. لم تر من الاثاث سوى طاولة على جانبيها مقعدان طويلان من الخشب، وكروسي هزاز عتيق مهترىء قرب الموقد. المجل المحفر رأت فوقه حضية قديمة، اعتقدت ان موضتها اندثرت منذ سنين، وكانت ارضية الغرفة الحجرية مغطاة بأوراق شجر وبقايا اخرى دخلت ولا ريب من فتحات النوافذ. وفي الزاوية علامات تدل على ان مخلوقات غريبة احتلت المكان من قبل وخلقت فيه هذه التفانيات. كان الهواء منعشاً بالنسبة الى الحرارة في الخارج، وبسبب قميصها الملتصق بظهرها العارق احست برعشة برد في جسمها. لم يكن البيت نظيفاً منذ استعماله لآخر مرة، وقد غطى رماد الموقد كل شيء بطبقة خفيفة من الغبار.

احست هاربيت خيبة تلسع قلبها. هل من المعقول ان تبقى هنا؟ ان المكان قذر ورطب. ثم ما هذا الحفيف الذي تسمعه؟ جردان؟ وبمحركة لا شعورية، رفعت قدميها عن الارض بالتناوب، وتملكتها رغبة في ان تطوي حافتي بنطلونها حول كاحليها! اين البيت الريفي النظيف الذي توقعته، البيت الأبيض الحلوي المشيد في وادي دوردون الشهير بعرائش العنب وفضائر الباتيه، حسبما جاء في كتيب الدعاية الذي اطلعت عليه؟ كيف يمكن ان يباع بيت مهجور كهذا على اساس انه مكان صالح للسكن؟ كيف جرؤ احد على ان يبيعها اياه؟

كانت قد تركت سوزان في السيارة لكنها سمعت خطواتها على المر

© ANNE MATHER 1977
© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: آن ميثر
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين
(قبرص) المحدودة

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

تقترب منها، فاستدارت اليها وهي تحاول اخفاء شيء من الخلق والحياة.
لقد مرت سوزان بظروف عصيبة في الاسباع الاخيرة، واملت هاربيت
الآن ان لا يفسد منظر هذا المكان كل الجهود الطيبة التي بذلت من اجل
راحتها. بدت فكرة ممتازة ان تصطحب ابنة اختها الى جنوب فرنسا لبضعة
اشهر كي تغير جوها السابق كلياً، وكانت بادرة لطيفة من تشارلز، رب
عملها، ان يمنحها هذه الاجازة. ولكن كل ما ادخرته من مال دفعته ثمناً
لهذا المكان، لكونها عوّلت على تأكيدات الوكالة في باريس بأن هذا البيت
الرفي في روشلاك يطابق المواصفات التي تريد، والآن عندما اكتشفت
الحقيقة المزيفة شعرت بإهانة مرة.

وسمعت سوزان تقول بصوت متفائل:

- اهذا هو المكان؟

فاجبتها هاربيت متتهدة:

- نعم، مع الأسف.

تخطتها الصغيرة ووقفت بالباب تسألها:

- لماذا مع الأسف؟

نظرت اليها هاربيت كأنها لا تصدق ما تسمع و اشارت بيدها قائلة:

- هل السؤال ضروري؟

فردت سوزان ببساطة:

- صحيح انه قذر، لكن هذا ليس مهماً. اقصد اننا نستطيع تنظيفه
بسرعة.

علقت هاربيت بصوت خائب:

- انه رطب! الا ترين هذه البقع على الحائط؟ اني اخاف التفكير بالذي
يتظرنا في الطابق العلوي! وبالنسبة الى الاثاث...

اجتازت سوزان ارض الغرفة دون ان تبالي باحتمال وجود ضيوف غير
مرغوب فيهم، وسألتها:

- هل تجولت في الداخل؟

ثم فتحت باباً لم تنتبه اليه هاربيت و اردفت:

- هذه غرفة الجلوس. هل تدعى كذلك بالفرنسية؟

اجابت هاربيت آلياً:

- يدعى الصالون.

ثم نظرت حولها واجمة. و اردفت:

- سوزان. انتبهى اين تضعين قدميك. سمعت خشخشة عندما
دخلت.

- لعلها فئران الحقل التي من عاداتها احتلال البيوت المهجورة. اين
الدرج؟

- اوه سوزان! لا اعرف!

تهتدت هاربيت ثانية تنظر حولها حائرة ثم قالت حانقة:

- انها غلطتي وحدي. كان يجب ان اصبر على معاينة هذا المكان قبل ان
اصرف فلساً واحداً، انتظري ما سوف افعل بالسيد فروند عندما امسك
به! لا اعتقد انه ذهب في حياته الى ابعد من جنوب اورلنز.

عادت سوزان الى المطبخ وقالت تواسيها:

- لماذا تغضبين هكذا يا هاري؟ هناك مقعدان لائقان في الداخل وطاولة
زينة. لسنا في آخر الدنيا. اعتقد انه منزل رائع. يمكنك ان تشاهدي
الحديقة خلف البيت، كما يوجد جدول...

فقاطعتها هاربيت:

- اتصور انها مغمورة بالاعشاب البرية... ولا تناديني هاري!

ابتسمت سوزان ابنة الرابعة عشرة وقد بدا النمش واضحاً في شحوب
وجهها، فالاسباع القليلة الماضية سلبت لونها الشاحب اصلاً، وسر
هاربيت جداً ان تراها تبسم هكذا. اذا كان البيت يثير فيها هذه الحماسة،
لا يمكن ان يكون سيئاً الى هذا الحد.

وقالت سوزان تعلق على اعتراض خالتها السابق:

- انت لا تحبين ان اناديك خالتي هاربيت، اليس كذلك؟

فانفجرت اسارير خالتها وقالت باسمه:

- هذا صحيح، انما افضل ان تناديني باسمي مجرداً. هاربيت فقط.

- حسن، انت من اليوم فصاعداً هاربيت فقط!

فضحكتا معاً و اردفت سوزان بصوت مرتجف بعض الشيء:

- لتكلم جدياً، البيت ليس سيئاً كما تتصورين. اني احبه وقد ستمت
الاجواء الاخرى التقليدية.

تشاغلت هاريت بتفحص ما حولها لتعطي سوزان وقتاً تتغلب فيه على
حزنها العابر... كانت هناك ابواب اخرى فتفتحت احدها بوجل،
وتنفست بارتياح حين رأت درجاً خشبياً يتعرج الى الطابق العلوي. اعذبت
بجفاف وهي تصعد اول درجة:
- وجدت السلم!

كان بلا درابزين والدرجات عالية جداً، مما جعل هاريت تستبعد فكرة
تغطيتها بالسجاد. لكنها كانت منبئة على الأقل توصل الى شقة مربعة ذات
سقف ينحدر بشدة في اتجاه نوافذ صغيرة فيما الارضية الخشبية خشنة وغير
متساوية. كانت هناك هيكلية سرير متداعية ودعاسة بالية، ومنضدة قديمة
للاغتسال عليها طشت وابريق مشققان. رائحة الفاكهة الفاسدة كانت
اقوى هنا، وحرارة الشمس تحرم الغرفة من الهواء وتلفها بجو خاق قايض
للنفس.

وخيل الى هاريت ان النوافذ سليمة على الأقل، لكنها عندما حاولت
فتحها استعصى عليها ذلك بسبب خشبها المتفتخ.

سوزان تبعتها الى فوق، وسمعتها تهتف ملهوفة:
- انظري! يوجد فراغ في السقف كانه عليه، وهناك باب خفي.
نظرت هاريت حولها بضيق وهي تلف شعرها الطويل الفاتح حول
اذنيها بيد لا مبالية.

كانت سوزان ترمي الى فتحة مربعة في السقف المنبت، ولم تحب
هاريت سلماً خشبياً مستوداً على الحائط قرب السرير. تركت النافذة
العنيدة واقتربت لتفحص تحت الفتحة، لكنها قطعت على سوزان وعيبتها في
مواصلة الاستكشاف، اذ نظرت الى ساعتها وقالت:
- قاربت الساعة الخامسة الاربعة. اذا اردنا قضاء الليل هنا، وانا لست
متأكدة من صواب ذلك، يجب ان ننشط لتنظيف الطابق السفلي وترتيبه.

حدقت اليها سوزان قائلة:
- هل تفكرين في الرحيل؟
فردت هاريت بهدوء:

- ليس هذا بالضبط. لكن عليك ان تعترفي بان المكان ليس كما توقعت.

ان يكون.

- لا يهمني.

- تقولين ذلك لانك...

- بل اعني ما اقول، فهي مغامرة بالنسبة الي وقد نمت في اماكن اسوأ يا
ألهي، عندما ذهبت الى غيم الكشافة...
فقاطعتها خالتها بحزم:

- انا لم اتفق آلاف الفرنكات لاحصل على بيت كهذا لا يصلح الا
كمضرب للخيام!

وحين رأت وجه سوزان يتقطب اضافت بسرعة:

- ربما استطعنا ان نفعل شيئاً بشأن البيت، لكن بالنسبة الى الليلة فيجب
ان نجد نزلاً ننام فيه ريثما يتسنى لي الاتصال بالسيد فروند...

زمت سوزان شفيتها واعترضت بامتعاض:

- لكننا قررنا ان نخيم هنا! واحضرنا اكياس نومنا.

فقال هاريت تذكرها وهي تشير الى خلف:

- كما تلاحظين يوجد سرير واحد ولا اسمح لكذب بان ينام على ذلك
القراش. كما ان الهواء فاسد ويجب فتح النوافذ لمدة كافية.

تجاهلت نظرة الضياع التي ارتسمت في عيني سوزان، وهبطت السلم
وهي تمحذ فرقة على الدرجات بتعليها المصنوعين من الفلين، ودخلت
الطبخ حيث الهواء اكثر نقاوة.

لحقت بها سوزان وتفقدت الغرفة معاً، وعادت هاريت تقول باصرار:

- يجب ان تعترفي بانه رهيب!

فأحنت سوزان كتفها وسألت:

- اين سنمكث اذن؟ وماذا ستقولين عندما تكلمين السيد فروند؟

هزت هاريت رأسها فهي نفسها لا تعرف ماذا ستقول... هل تقدر
ان تسترد منه بعض المال المدفوع؟ انها تشك في ذلك، اذ كان عليها ان
تتفقد العقار قبل شرائه، ولا تسمح لنفسها بان تنخدع بأساطير دعائية عن
الكرمة والقصر، وامسيات الاسترخاء على ضفاف النهر وهي ترشف
الشراب المتلج.

وقالت بصوت:

- لا اعرف الآن كيف سأصرف.

لاحظت الغبار الذي لطح قميصها وعبرت العرقه بحذر على الأرض
المليئة بالحفر، وخرجت الى ضوء الشمس تتنفس بعمق، ثم فكت زراً ثانياً
أظهر عمق فتحة صدرها التي ما جرؤت على عرضها وهي في بلدنا.
كانت السيارة متوقفة على الدرب وراء السياج الشائك المحيط
بالحديقة، والهدوء شاملاً والوقت يؤذن بالغروب. ولدى اقترابها من بحر
مظلل بالأشجار احست نشوة كالتى نحسها سوزان. ولكن حتى هذه
الفسحة الامامية من الحديقة كانت تبيت فيها الأعشاب والشجيرات
بفوضوية. وما بدا لها عملاً بسيطاً قبل هنيهة اتخذ الآن ابعاداً كبيرة.
فجدران المنزل بحاجة الى طلاء اضافة الى التصليحات الاخرى، وما كان
اغياها عندما سمحت للورد والتسلفات ان يعميا بصرها عن هذا الواقع.
اجل، لم تلاحظ الاعشاب التي تصل حتى الركب، ولا الأشواك الخائفة او
العليق المهدهد بخدش الأرجل.

وسألته سوزان بلهفة وهي تدير المفتاح في القفل الصدى:

- سنعود اليه، أليس كذلك؟

رمقتها خالتها بأسمى وقالت:

- سنضطر الى ذلك على الأرجح، او قد نعود الى بلدنا.

ارتجفت شفتا سوزان وقالت متوسلة:

- لن تفعل ذلك... اقصد انه لا يجب ان تفعل ذلك...

قطبت هاربيت باذعان وقالت موافقة:

- سنعود على الأرجح. هيا بنا. انا عطشى. هناك علبه من عصير

الليمون في السيارة على ما اظن.

احست هاربيت بمزيج من التعب والتشاؤم. كانت تقود السيارة منذ

الصباح الباكر والشوق يحثها على الوصول الى وجهتها المنشودة، لكن كل

أما لها فقدت رونقها، وحتى استياؤها من السيد فرويد تحول الآن الى

غضب على نفسها. متى ستعلم ان الناس ليسوا دائماً كما يبدو؟

تقاسمت علبه العصير مع سوزان متظاهرة باهتمام لم تكن تشعر به

اطلاقاً. استعانت بالخريطة التي فردتها على مقود السيارة وقالت وهي تشير

بدقة الى مكانها:

- نحن الآن على بعد ثلاثين كيلومتراً من بيناك واظنها اقرب مدينة الينا،

لكن القرية اقرب بالتأكيد وتدعى روشلاك هل علينا برأيك ان نحاول
ايجاد مكان فيها؟

اجابته سوزان:

- بكل تأكيد.

كان واضحاً انها تفضل البقاء قريباً من المنزل، والقرية لا تبعد عنه اكثر
من ثلاثة او اربعة كيلومترات.

فردت هاربيت مفكرة:

- قد لا نجد نزلاً هناك.

- لدي شعور اكيد باننا سنجد واحداً.

- واذا اتضح العكس، ماذا سنفعل؟

فهزت سوزان كتفيها وقالت:

- في هذه الحال سننام في السيارة.

واذعنت خالتها لمشيئتها...

عادت هاربيت تقود السيارة على الطريق المشقوقة بين قريتي بلسوربو
وروشلاك. واحست بشعور بسيط من الالفة تجاه روشلاك، هو الذي

جذبها اليها بالدرجة الأولى، انما لم تستطع تحديد هذا الشعور.

وامكنها من الطريق ان تريا البيت المحاط بالأشجار وحتى رؤية سطحه

القرميدي الرمادي وخلفه الجدول المتدفق. كان كل شيء يبدو ساحراً من

بعيد، لكن ارهاق هاربيت الشديد حال دون تقديرها لهذه الحسنات. اما

سوزان فتطلعت اليه بحنين عبر كتفيها لكن خالتها ضغطت بقوة على دعاسة

الوقود فانطلقت سيارة الفيات الصغيرة تركض بهما قدماً.

بدت روشلاك ملتصقة بجانب التل المطل على النهر والذي يتفرع منه

الجدول المجاور للبيت المهجور. وحننت هاربيت ان السير الى القرية

بمحاذاة النهر قد يكون اسرع من الوصول اليها بالسيارة، لكنها سرعان ما

انصرفت عن هذه الفكرة المشجعة على البقاء، اذ اقنعت نفسها بانها قد لا

تعيشان فيه ولا حاجة اذن الى هذه الحسابات.

كانت القرية ذات جمال طبيعي رائع كما تمتتها ان تكون، طرفات

ضيقة، شرفات تتعج بالتسلفات المزهرة، ساحة صغيرة وبرج عال.

اوقفت السيارة امام حانوت لبيع الحلوى تنبعث منه رائحة خبز طازج تسيل

اللعب، ثم اقلت السيارة وسارت مع سوزان على الدرب الشديد الانحدار المرصوف بالحصى والمؤدي الى النهر.

البيوت على جانبي الطريق عالية ومتلاصقة كما لو انها تتزاحم على ايجاد فسحة فيما بينها، واسطحها المنحدرة الرفيعة الرؤوس تبدو كالرماح على كتف الجبل الصخري، وذات نوافذ بارزة الى الخارج وبعضها مغطى بستائر ملونة من الكتان السميك لتحميها من تأثير الشمس المشعة على النهر الجاري بسلاسة وغموض.

وقفت سوزان على حافة الطريق ونظرت من فوق الى اعماق النهر. انضمت اليها هاريت وقد جذبا على التو مشهد مركب مياحي يتهادى عليه، فيما الركاب يغمسون ايديهم في مياهه الباردة.

ثم تهتدت بحسرة وقالت:

- هيا بنا، يجب ان نبحث عن مكان نكث فيه.

وهتفت سوزان فجأة:

- اوه، انظري!

كانت تشير الى ما وراء القرية، الى ابراج قلعة او قصر تطل من فوق الاشجار التي تغطي واجهته.

لقد شاهدنا نماذج عديدة من هذا الفن المعماري في طريقهم الى روشلاك. وتوقفتا في بينك لمشاهدة القصر الذي كان في يوم من الايام معقل ميركاديه الرهيب. فثناء حكم ريتشارد قلب الاسد، استيحت ونهبت الضاحية حول بينك حتى جاء سيمون دو مونفورت بنفسه وفرض هبة الأمن في عام ١٢١٤. هذه الناحية من فرنسا كانت تعمرها حكايات من هذا النوع، وتاريخها الجياش لم يكن الا جزءاً بسيطاً من جاذبيتها. سألتها سوزان بفضول:

- هل تظنين ان احداً يسكن هنا؟

لكن هاريت هزت رأسها، فعلمت الصغيرة:

- اني اشاطرك تخمينك، لتشمس الى الساحة مرة ثانية، فلا توجد هنا فنادق او بانسيونات.

وظهر ان هذه القرية لا يوجد فيها استعدادات لاستقبال السياح، وصاحب المقهى الوحيد اوضح انهم لا يستقبلون زواراً كثيرين. وحسن

الحظ كانت هاريت طليقة اللسان بالفرنسية، لأن عملها كان قد جاء بها اكثر من مرة الى فرنسا، ولذا علمت ان صاحب المقهى يعرف عدداً قليلاً من الكلمات بالانكليزية.

وسألت هاريت وهي تحاول اخفاء نفاذ صبرها:

- وماذا الآن؟ لا اجد فكرة العودة الى بينك مستحبة.

فقطبت سوزان وخاطبت صاحب المقهى قائلة:

- هل تعرف احداً يمكنه استضافتنا هذه الليلة؟

عبس الرجل وغاص في خطاب طويل لم تفهم سوزان منه الا القليل ما عدا كلمة قصر. وادارت عينها المرتبكتين نحو هاريت التي حزنت عليها ووضحت كلام الرجل بقولها:

- ماكون اي صاحب المقهى كان يؤمن متطلبات القصر، ويقول انه ما

عدا القصر لا توجد بيوت تستطيع استضافة الزوار.

- هل القصر فندق؟

سألت سوزان بحماسة لأنها وجدت فكرة قضاء الليلة في قصر من

العصور الوسطى شيقة جداً، لكن هاريت خيبت املمها سريعاً وقالت:

- يبدو ان لا احد يعيش في القصر هذه الايام، اذ لم يستطع المالك تأمين

تكاليف الصيانة فأخذ القصر يتداعى كغيره من القصور. انتظري قليلاً.

قيلت هذه الجملة بحرارة شديدة جعلت السيد ماكون وسوزان ينظران

بدهشة الى هاريت التي قفزت من مكانها، وراحت تقول:

- سيد ماكون، هل القصر جزء من الممتلكات؟ هل الذي يملك

الأراضي يملك المزارع المحيطة بها؟

تعجب الرجل كأنه صدم من السؤال الذي لم يعجبه لكونها نخطت

حدود التطفل، فرفع جسمه المسترخي عن المقعد وقال بصوت متشنج:

- ذلك ممكن ايها الأنسة، والان اسمحا لي بالانصراف.

فقلصت هاريت قبضتها وسأله بتوسل:

- لحظة من فضلك، هناك شيء آخر، من يملك القصر؟

مسد صاحب المقهى صدرته، وسأل بتهرب:

- لماذا تريد ان تعرفي؟

التفتت هاريت الى سوزان ثم قالت للرجل بتردد:

- اتنا في الواقع، اقصد اني... اشتريت عقاراً يبعد بضعة كيلومترات من هنا، واتساءل من يملك هذا القصر. اشتريت العقار بواسطة وكيل في باريس.

نظر اليها مرتاباً وقال:

- ولكنك سألت عن مكان تمضيان فيه الليل؟

تمكنت هاريت من كبت الغيظ الذي كان ينبعث من كل جزء فيها وقالت:

- المنزل يحتاج الى تهوية وتنظيف.

لكنها ايقنت ان السيد ماكون لم يكن مقتنعاً بما تقول.

التفت الرجل حوله بريبة كأنه يأمل ان يجد زبوناً آخر ليمنحه كل اهتمامه. ولكن المقهى الصغير كان مقفراً في هذا الوقت من النهار. وحزرت هاريت انه كان يتمنى لو اقبل باكراً ليتجنب الرد على مثل هذا السؤال.

وحسنت هاريت سائلة:

- على الأقل، ما اسم هذا القصر؟

استتجت انه معها كان اسم القصر فلا بد ان صاحبه يحمل الاسم نفسه.

- انه قصر روش فورت ابنتها الأنسة. ابي شخص يستطيع ان يقول لك ذلك.

- شكراً.

لملمت هاريت حقيبتها وخربطتها التي كانت تحملها وغادرت المقهى بصحبة سوزان التي سألتها حالما اصبحتا بعيدتين عن مسمع الرجل:

- علام كان كل هذا الجدل؟ ماذا يملك من يملك القصر؟

ابتسمت هاريت بداخلها وقالت لها:

- الأمر واضح وحسبتك حزرت الحقيقة.

ظهرت العصبية على سوزان، فخاطبتها هاريت قائلة:

- الاترين؟ ان السيد فروند يمثل المالك، والبيت الذي ابتعناه ربما كان ملك الكونت دو روش فورت، اذا كان يدعى كذلك.

انفرج وجه سوزان وهنفت:

- فهمت. تعين انه قد يتوجب علينا التكلم مع المالك. أليس كذلك؟

- شيء من هذا القبيل.

- ولكن متى؟ الآن؟

- يا الهي، كلا.

ثم نظرت هاريت الى ساعتها، وهزت رأسها قائلة:

- الساعة تقارب السادسة. لا جدوى من ان نحاول إيجاد طريقنا

الليلة، والا نهنا. يجب ان نترك هذا العمل الى الغد.

وسألتها سوزان:

- وما العمل الآن؟

ابتسمت هاريت ابتسامة صفراء وهي تنظر الى سوزان قائلة:

- انني امقت الفكرة، لكن يجب ان نعود ادارجنا.

- الى البيت؟

بدت سوزان في غاية الفرح واللهفة فأجابت هاريت بجفاف:

- نعم الى المنزل، ولكن اقترح ان نتاع بعض الاشياء قبل ان نذهب،

مثل مبيدات للجردان ومساحيق للتنظيف.

كانت السيارة محملة بالأغذية الكافية لاسبوع واحد. ولكن هاريت

اضافت علبة من الحليب وكمية من البيض وذلك من باب الاحتياط.

وقالت لسوزان عندما لاحظت الابتسامة العنيدة على محياها:

- أمل الا نظني انها ستكون نزهة.

ففقهت سوزان ضاحكة لتعليق خالتها وردت:

- لا احسبك آسفة كليا للعودة الى البيت كما تحاولين ان تظهري.

لم تستطع سوزان اخفاء نشوتها عندما انطلقت بها سيارة الفيات

الصغيرة على الطريق المتعرج بين الاشجار، بينما الشمس تغيب وتضفي

بريقاً على قرميد البيوت وهي تسدل وشاحاً من الظل على الجدران المشققة

كانها خلية في الغروب تخفي شوائبها.

وعندما اوقفت هاريت سيارتها امام البيت ورأت دخاناً يتصاعد من

المدخنة ارتجف قلبها بقوة اذ جالت في خاطرها قصص الاشباح والاساطير

التي سمعتها.

وصرخت سوزان:

- هناك دخان يتصاعد من المدخنة! هاريت، نحن لم نضرم النار في الموقد!
نظرة واحدة الى وجه الفتاة كانت كافية لتعيد الرشد الى هاريت التي رددت:

- كلا، لم نضرم النار في الموقد.

فتحت الباب وترجلت برباطة جأش اذهلتها. مع العلم ان ساقها كانت ترتجفان وهي تقطع المعر القصير المعشوشب الذي يقود الى المدخل. وانقبض قلبها في صدرها عندما ظهر شخص طويل القامة امامها لم تستطع تمييز ملامح وجهه لأن شعاع الشمس كان يبهر نظرها. توقفت بتردد، متسائلة ان كان هذا الرجل متشرداً او متطفلاً. تساءلت ان كان شرساً، وعندئذ تكلم فأحست العالم المحيط بها يتخرا
وهتف الرجل غير مصدق ما يرى:

- هاريت! يا ألهي، احقاً انت هاريت بنفسها؟

٢- جرح يستيقظ؟

تجمّدت هاريت في مكانها. احسنت ان سوزان قد لحقت بها واصبحت وراءها واحسنتها تلمس ذراعها وهي تسألها هامسة:
- من هذا يا هاريت، هل تعرفينه؟

لكن هاريت لم تحب، كانت مصعوفة، مرتبكة، فاقدة تماماً امكانية استعمال اوتارها الصوتية لتسمح لكلمة ما بأن تخرج وتعبّر للرجل عما يجيش في نفسها. هل تعرفه؟ وفكرت منذهلة، هل عرفته؟ ليتها لم تعرفه. ليتها لم تلتق به ابداً... ولكن كل هذا لم يفسّر ماذا كان يفعل هنا. اراحها الضغط على حقيبتها، ولما زال وهج النور الذي يغشي بصرها، تمكنت من رؤيته جلياً... لو لم يتعرف اليها بسرعة هل كان بمقدورها التعرف اليه؟ طردت هذه الفكرة من رأسها لأنها غير جديرة بدكائها. طبعاً كانت ستعرفه. لم يتغير كثيراً، ربما اصبح نحيلاً، لذلك بدت الخطوط عميقة في وجهه، وفي شعره خصل بيضاء لم تعهد كثرتها من قبل. لقد مضت ثماني سنوات على فراقها واصبح الآن في الأربعين أو أكثر. وها هو السواد يقلب على لون شعره الذي انسدل على ياقة قميصه ذي القماش الخشن. كان ينظف الموقد على ما يظهر، لأن ذراعيه بدتا مسودتين بغيار الفحم لذلك لم يحاول لمسها، لكنه نظر اليها بعينه السوداوين اللتين ما نسيتهما ابداً. قال:

- هاريت، لم اعرف انك أنت!

- ماذا كنت من قبل؟

خرجت الكلمات متقطعة حادة، لا تشبه ابداً صوتها المبحوح. نظر

اليها بغرابة ووضح قائلاً:

- لم ادرك انك انت التي اشتريت البيت، ماذا نظرتني اني قصدت؟
آثرت هاربيت ان لا نجيب، والتفتت الى سوزان بقلق وقدمتها بصوت
خافت:

- انه السيد لاروش يا سوزان. لقد التقينا منذ سنوات في باريس في
مزداد علي.

ما قالته كان اخفاء للحقيقة، وخشيت ان يفصح الأمر، لكنها خنت انه
لن يفعل ذلك.

قال للفتاة وهو يحن رأسه بهذيب:

- كيف حالك يا سوزان؟ المعذرة، لم استطع مصافحتك.
ومد لها يديه المتسختين.

ابسمت سوزان قليلاً، ونظرت الى هاربيت كأنها تطلب الارشاد،
فتحنحت خالتها وقالت:

- حتى الآن لم توضح سبب وجودك هنا يا سيدي.

نظت هذه العبارة بقسوة، مع انها كانت متضايقة من قوة نظرتها اليها.
اجابها:

- حسبك تعلمين. يجب اذن ان أقدم اعتذاري عن حالة البيت
المزرية، لكن حتى يوم امس لم اعرف ان السيد فروند قد وجد شاربياً
للبيت.

نظرت اليه هاربيت بهلع وهتفت:

- هل تقصد انك المستاجر القديم؟

- هذا صحيح.

كان من الصعب عليها تصديق ذلك لكن كل شيء لا يصدق. حتى لا
روش نفسه يبدو مختلفاً جداً عن الرجل الأنيق المتحضر الذي التقته في
صالات سان جرمان في باريس. كان يرتدي آنذاك ثياباً أنيقة ونظيفة،
مفصلة بعناية لتظهر نحول جسمه. انما الآن يجب ان تأخذ بعين الاعتبار
انه كان ينظف الموقد. لكن القميص الذي يرتديه مصنوع من قماش
خشن، اما بنطلون الجينز المتصق بعضلاته القوية فيبدو رثاً وعتيقاً.
سألته بصوت خافت، وهي تحس اشمئزازاً وامتعاضاً تجاه المكان:

- هل تسكن هنا؟

فهز رأسه وقال مفسراً:

- كلا، لم أقل ذلك. انا اسكن... على بعد بضعة كيلومترات من هذا
المكان. وعندما علمت من السيد فروند انه باع البيت، تبقت انه مجهل
حالة المنزل.

تهبت هاربيت وقالت:

- فهمت.

صوت فرقة من الداخل جعل الرجل يستدير، فاستأذن منها ودخل
ليهتم بالحطب الذي كان يحترق متأججاً في الموقد. تبادلت هاربيت مع
سوزان نظرات المغلوب على أمره، ثم تبعته الى الداخل.

بدأت الغرفة اصغر حجماً بوجوده بجانب المدفأة، انما لاحظت ان
النفائيات قد نظفت، وان شبه محاولة قد تمت لتنظيف الطاولة والكراسي.

سألته وهي لا تصدق ما ترى:

- هل انت الذي فعل ذلك؟

فاوماً بالاجاب وقال وهو يكدمس مزيداً من الحطب:

- كنت الطابق الاعلى مساء امس لكنني لم اجد متسعاً من الوقت

لاكمال كل شيء. ان كل شيء بدائي هنا كما ترين.

تربت قليلاً، وعندما لم تبد ملاحظة وقف واستدار اليها قائلاً:

- بإمكانكما تفقد المكان. واذا تبين لكما ان البيت ليس كما وصفه السيد

فروند، فلا استطيع ان ألومه، لكنني سأطلب منه ان يعيد لكما الثمن

حالاً.

تطلعت سوزان بقلق نحو خالتها. كانت لغة لاروش الانكليزية احسن

بكثير من لغة هاربيت بالفرنسية. ولم يكن هنالك مجال للالتباس.

واعترفت هاربيت برتد:

- في الواقع آتينا الى هنا باكراً وتفقدنا المكان حينئذ

- آه.

لم يد عليه الاستغراب وأردف:

- اذكر انني لم أقفل الباب.

فشهقت هاربيت وسألته مندهشة:

- وهل لديك مفتاح؟

اخذت عضلات وجهه تنقلص وأجاب:

- بالتأكيد. قلت لك انني لم اعلم ان السيد فروند قد باع البيت.

- حسناً، اذا كنا سنبقى هنا فانتظر منك ان تعطيني المفتاح.

تحرك فمه كأنه يهزأ بها وقال:

- بالطبع.

أحست هاريت باحمرار وجهها وانتهت الى فتحة قميصها وشكلها المشعث، فحتى تلك اللحظة كانت مشدودة الى مظهره فلم تبال بمظهرها.

ارتفعت اصابعها بطريقة آلية لتقفل زر قميصها. وكان الرجل أحس بحرجها فأدار وجهه لتفقد النار. كانت خيالات الغسق تعتم الممر في الخارج فبدت النار فرحة ومشعة، وانعكاس الشمس الغائبة أضفى على الغرفة سحراً غريباً.

ظنت هاريت انه بعد تنظيف البيت وطلاء الجدران سيتحسن منظره ولكن البيت لم يعد المشكلة بل الرجل الذي يقف قرب المدفأة أصبح هو العقبة.

شدت سوزان كم قميص خالتها وسألته بلوغة:

- سنبقى هنا، أليس كذلك؟

فبدت عن هاريت حركة توحى بنفاد صبرها وقالت:

- ارجوك، لا تضايقيني!

كانت سوزان مصممة على البقاء لكن هاريت رفضت الابتزاز.

صحيح انها هي التي اقترحت ان تصطحب ابنة اختها لبضعة أشهر لتشفيتها من صدمة موت والديها، لكن اذا كان السيد فروند مستعداً لاعادة المبلغ اليها، فلا يوجد سبب يمنعها من شراء بيت أو كوخ في مكان آخر من البلاد. الا انها تحب منذ زمان هذه المنطقة، وتريد البقاء فيها.

لكن كل هذا كان قبل ان تعرف من سيكون جارها. كيف تستطيع ان تمكث هنا، على رمية حجر منه ومن عائلته؟ كيف تستطيع ان تتحمل فكرة لفاته في أي وقت... او التفاتها بزوجه؟ ربما وجودها هنا سيعتبره دعوة مفتوحة ليجدد العلاقة التي كانت بينها، وهي لن تدعه يفعل ذلك ابداً ان وجوده هنا اذهلها، وتساءلت منذ متى اصبح يقوم بأعمال يدوية؟

وقال فجأة:

- اخيراً تبدو النار متقدة كما يجب!

تقدم من المغسلة ليغسل يديه المتسختين ثم سأل:

- هل تنويان قضاء الليل هنا؟

لفت هاريت حمالة حقيبتها حول معصمها، وردت باختصار:

- أجل، لقد ذهبنا الى القرية بحثاً عن نزل، لكن صاحب المقهى المدعو

ماكون قال لنا انه لا توجد باتسيونات في هذه الناحية.

- هذا صحيح، مع العلم ان شركة اميركية رغبت مؤخراً في شراء

القصر وتحويله الى فندق من الدرجة الاولى.

- قصر روشفورت؟

فقطب حاجبيه وسألها:

- هل ذهبت الى هناك؟

قالت وهي تهز رأسها:

- كلا، مجرد فكرة... لا يهم.

نظرت هاريت الى سوزان ثم اضافت:

- ربما نعلمك غداً اذا كنا سنبقى... الوقت اصبح متأخراً، ونحس

بالجوع.

نشف يديه بمنديل سحبه من جيب بنطلونه. لم يكن المنديل جديداً لكنه

نظيف للغاية. ووجدت نفسها تتساءل عن حقيقة مكانته. ان حالته تحير،

حتى لو كان يستحق العقاب.

قال وهو يضع المنديل في جيبه:

- كيف ستامان؟ ان السرير الموجود فوق لا يصلح.

- لا اعتقد ان هذا الأمر يهيك، يا سيد لاروش.

قالت ذلك ببرود جعل وجهه يحمر قليلاً. فأجاب بهدوء:

- لم أقصد التطفل.

احست هاريت باللوم وقبل ان تكمل اضاف:

- اذا قررنا البقاء، ساتي لكما بسريرين عوضاً عن الذي فوق والذي

يجب ان يتلف.

لم تشكره هاريت، فالبيت يبع مؤثناً ولا جدال حول ضرورة وجوده

سرير فيه .

وسألت سوزان فجأة :

- ابن الطباخ ؟

اجاب لاروش :

- لسنين خلعت كان الفرن الوحيد المجاور للموقد الطباخ الوحيد ، لكننا زدونا المستأجرين القدامى بفرن على الغاز . مع الأسف نقلته منذ اشهر الى القصر وسوف ارسله اليكما اذا آثرتما البقاء .

تهندت هاريت وقالت :

- وكيف نستطيع تحضير شراب ساخن ؟

فدلها على ابريق حديدي قرب الموقد وقال معتذراً :

- آسف ، عليك ان تغلي الماء في هذا الوعاء الليلة .

توقف قليلاً وكان عينيه تبحثان عن شيء في وجه هاريت ، ثم اضاف :

- ما لم تودي ان تنضمي الى العائلة لتناول العشاء .

فأشاحت عنه بانفعال وقرف . كيف يمرؤ ؟ كيف يستطيع ان يدعوها

الى تناول العشاء والجلوس الى الطاولة نفسها مع زوجته وعائلته مع علمه بعلاقتها . . . السابقة ؟

كادت تحتق وهي ترفض دعوته . فحرك منكبيه ودلت هذه الحركة على أصله الغاليكاني وقال :

- كما نشائين .

وتقدم نحو الباب متابعاً :

- سأعود في الصباح لأعرف قراركما .

ثم اشار الى القنديل المتدلي من السقف وقال :

- يوجد زيت في داخله ، هل تستطيعين اضاءته ؟

انتصبت هاريت وقالت :

- اظن ذلك يا سيدي ، نصبح على خير .

اجاب بتهذيب :

- وانت من اهل الخير .

حيا سوزان بابتسامة صغيرة ثم تركها وذهب عبر الممر .

انتظرت هاريت حتى وصل الدرب ، فأسرعت الى النافذة ، وهي

تسكت سوزان التي حاولت الكلام ، واخذت تراقب الطريق الذي سيسلكه .

انعطف الى الطريق الممتدة بين بلسوربو وروشلاك ، ودخل بين مجموعة الاشجار التي تحدد الجدول . اكد بذلك نظرية هاريت بان هذا الممر يقود الى القرية . انتظرت حتى غاب عن النظر واتكأت على الحائط ويدها تضغط على شريان عنقها المتنفص . نظرت اليها سوزان لثوان ثم سألت بصبر نافذ :

- من هو ؟ ماذا يجري هنا ؟

انتصبت هاريت وهي تمز رأسها :

- قلت لك . . . هو . . . انا . . . لقد التقينا منذ بضع سنوات في

باريس .

- هل هو تاجر تحف قديمة ايضاً ؟

- لا اعرف .

- لكنك قلت انك التقيته في مزاد علي !

- اجل .

ثم ضربت هاريت يدها في الهواء وارذفت بحزم :

- اسمعي ، لا وقت لدينا للحديث عن هذا الموضوع . ستظن قريباً

وعلينا ان نفرغ السيارة .

نظرت اليها سوزان بحرد وقالت :

- لا تستطيعين التخلص بهذه السهولة ، انت لم تلتقيه مرة واحدة فقط .

انا لست بطفلة ، ويبدو لي ان معرفتكما قامت على عدة لقاءات .

- اوه ، كفى يا سوزان . . .

وخرجت هاريت من البيت .

فألحت سوزان وهي تلحق بخالتها :

- حسناً ما الخطأ الذي حدث بعد ذلك ؟ اقصد انه جذاب وقد ذكرني

بشاشا دي ستيل .

قالت هاريت غاضبة :

- يا الهي ، لا يشبه شاشا دي ستيل ابداً هل ستساعديني في نقل

الحاجيات الى الداخل ام لا ؟

حملت سوزان صندوق المأكولات واستفسرت بعفوية:

- هل كانت لك علاقة غرامية به؟

وللمحظة لم تستطع هاربيت الكلام لأن السؤال صعقها فأكملت سوزان حديثها وهي تحمل المأكولات الى المطبخ:

- انه شيء طبيعي. انني اعرف فتيات في عمري و...
قاطعتها هاربيت قائلة:

- افضل ان لا أتحدث بهذا الموضوع.

وضعت هاربيت اكياس النوم على الطاولة وتابعت قائلة:

- هل تفضلين الشاي ام القهوة؟ انا لا فرق عندي بين الاثنين.

فهتفت سوزان وهي تنظر اليها بتوسل:

- اخبريني اسمه على الأقل.

تهتت هاربيت وردت بسؤال:

- لماذا؟

- اريد ان اعرف فقط، وسوف اتوقف عن الاسئلة اذا اجبت بصراحة.

- احقاً ستوقفين؟

- نعم، نعم اعدك بذلك.

انحنت هاربيت فوق الاغراض وقالت:

- اسمه اندريه. اندريه لاروش. والان، هل يمكن ان تقوم ببعض الأعمال؟

كان الماء يغلي في الابريق المنظف، واللحوم الباردة والجبنه والخبز القمر الطازج اشهى ما يمكن مع القهوة الساخنة. كان الباب موصداً على سواد الليل، وضوء القنديل يبعث الدفء.

قالت هاربيت:

- لم نجرب محاسن الاغتسال بالماء البارد، وتذكري انه لا يوجد حمام

هل لاحظت التواليت وانت تمرين بالجدول؟

اومات سوزان قائلة:

- انه وراء الباب الخلفي مباشرة.

فقالت هاربيت:

- سوف نستعمل الكيماويات...

ثم زمت شفيتها قرفاً وتابعت:

- لا استطيع ان اليوم احداً على ذلك. كنت اعرف ان التسهيلات غير مشابهة لما اعتدنا عليه ولكن...

قاطعتها سوزان قائلة:

- سبقي هنا أليس كذلك، انه ليس شيئاً كما توقعناه. واذا امن لنا اندريه لاروش سريرين...

- السيد لاروش من فضلك.

قاطعتها هاربيت بحدة وتابعت قائلة:

- لا اعرف ماذا سأفعل. اذا اعاد لي السيد لاروش البلغ، من المستحسن ان استعيد دراهمي.

فشهقت سوزان وقالت بانفعال:

- اوه، كلا!

بسطت هاربيت يديها كأنها لا تستطيع فعل شيء وقالت:

- يمكنني شراء بيت آخر، وفي مكان اقل وحشة من هذا.

- لكنني احب هذا المكان!

هتفت سوزان وهي ترفع شعرها عن جبينها وبدت في هذه اللحظة تشبه والدتها كثيراً.

صوفي والدة الفتاة كانت ذات شعر احمر وعينين زرقاوين ورثتها ابنتها

سوزان، مع العلم ان شعر سوزان اكثر شقرة، ولم تكن لديها المشاكل

الجلدية نفسها التي كانت والدتها تعاني منها. اما هاربيت فعينها بنتان

واقوى من عيني سوزان التي تشكو من قصر النظر. تأثرت هاربيت لذكري

شقيقتها وترددت مع ان كل شيء في داخلها كان يحثها على ترك البيت ما

دامت الظروف تسمح بذلك، وتفضل الابتعاد عن روشلاك قبل ان تزج

في وضع تندم عليه.

- سوزان... سوزان.

قالت مسايرة، لكن ابنة اختها كانت لها قوة ايها نفسها فواجهت خالتها

بعناد وقالت:

- وعهدت بأن تبقى هنا. كنت دائماً تقولين انك تودين الاقامة في وادي

دوردون لتستكشفي الفصور والكهوف، اما الآن فأنت تغيرين رأيك.
وكل ذلك من اجل هذا الرجل!
- هذا ليس صحيحاً!

احمرت وجنتا هاريت وتابعت:

- تعنمين يا سوزان ان المكان لم يعجبني عندما رأيته.

- لكنك كنت ستبقين، وكنا سنحاول تحسين الوضع. ذلك حتى

اللحظة التي التقيت فيها اندريه لاروش!

- سوزان!

- لا اصدق انك لا تحبين هذا البيت. باستطاعتنا تحويله الى جنة، وانت

تعلمين ذلك. ماذا حدث؟ هل تركك او حصل شيء من هذا القبيل؟

الذالك انت عانس في السادسة والعشرين؟

حالما انتهت سوزان كلامها، ندمت على ما قالته فوضعت رأسها على

ذراعيها المطويتين واجهشت بالبكاء كأنها مكسورة القلب. تركتها هاريت

تبكي لفترة وجيزة لأنها ايفتت ان هناك اسباباً اخرى غير خيبة الأمل التي

جعلتها تذرف الدموع.

لم تشف بعد من صدمة وفاة والديها بحادث سيارات جماعي منذ ستة

اسابيع. وكانت هاريت محطّنة في تفكيرها اذ اعتقدت انها تستطيع تحويل

افكار الطفلة حينها لطيب لها. بالنتيجة ربما التفت باندريه في اي وقت وفي

عدة اماكن تجري فيها مزادات علنية في انحاء فرنسا. ربما كانت فكرة

صائبة ان تحرح طيفه من حياتها لآخر مرة، على ان العلاقة التي كانت بينهما

في تلك الحقبة من حياتها اثمرت على كل علاقاتها اللاحقة. ولم تكن سوزان

محطّنة عندما اهتمتها انها عانس. فالرجل الوحيد الذي دخل حياتها بعد

اندريه هو تشارلز ولم يكن بينهما الا حبهما المشترك للأثريات.

نهضت من مكانها وتقدمت نحو الفتاة واحتضنتها. اعتذرت سوزان

بصوت خافت وامسدت وجهها اليها وهي تشهق باحثة عن مندبليها. كانت

العاصفة قد هدأت فنظرت الى حالتها بسداجة وقالت:

- آسفة.

قالت هاريت بمرح:

- لا تكوني سخيّة، لست غاضبة وربما انت على حق فانا عانس

بالفعل.

- كلا، لست بعانس يا خالتي. كل ما في الأمر انك تكرسين وقتك

لعملك. صديقاتي يقلن انك لبقّة وثيابك دائماً في غاية الاناقة. انت لا

تشبهين امي، اقصد... لم تبدي اهتماماً بالزواج ولا بانشاء عائلة، اليس

كذلك؟ ولكني اعتقد انك عرفت عدداً كبيراً من الرجال...

- انك نظهريني كامرأة قاسية انانية!

كانت هاريت تبسم وهي تحيب لتخف الألم الذي احدهه كلام الفتاة.

لو علمت سوزان بالمرارة التي تشعر بها لانها

قالت سوزان:

- انا ايضاً اود ان اكون مثلك. لا اريد الزواج من احد حتى اصبح في

الثلاثين من عمري. اريد ان تكون لدي مهنة.

استدارت هاريت لتأخذ الأكواب الفارغة وتضعها على المجل. في

الخارج اصبح السواد دامساً، والحشرات التي يجذبها النور كانت تصطدم

بزجاج النافذة الملتصق. من فترة وجيزة كانت هاريت قد وضعت مكان

الزجاج المكسور نوعاً من الكرتون على النوافذ. والان عندما رأت

الحشرات والبعوض تحاول ان تعبر الى داخل المنزل فرحت لما فعلت، فهي

لا تحب الحشرات على انواعها.

سألته سوزان وقد قررت ان تترك للغد استيضاح هاريت حول بقائهما

او عدمه:

- اين ستنام؟

- هنا على ما اظن فالهواء في غرفة الجلوس يبدو رطباً، وافضل ان تكون

الحجرة نظيفة قبل ان نستعملها.

- حسناً.

استعدت سوزان رباطة جأشها السابقة واخذت تفرش اكياس النوم

قرب النار. واستأذنت خالتها قائلة:

- هل بإمكانني تأجيل الحمام الى صباح غد؟ اني اشعر بالنعاس الشديد.

- حسناً.

فقالت سوزان باسمّة:

- لكنني سأذهب الى التواليت قبلك لأتأكد انه خال من الحشرات التي

عندما عادت هاربيت الى البيت سمعت نعيق بوم، فكنمت ضحكة هستيرية كانت على وشك ان تخرج من اعماقها. لماذا لم تتصور كيف يصبح المكان في الظلام؟ واقفلت الباب وهي تشعر بشيء من الاطمئنان. ومع انها كانت منهوكة القوى، الا انها لم تستطع النوم جيداً لان أموراً كثيرة جالت بخاطرها، ولا سيما القرار الذي ستخذه في اليوم التالي. اما سوزان فكانت تنعم بنوم هادى عميق فحسدتها لأنها تستطيع ترك مشاكلها تحل نفسها بنفسها.

فكرت هاربيت بالوضع الذي تعانیه. ماذا ستفعل، علماً ان سوزان ستكون بغاية التعاسة اذا باعت البيت، وكم سيستغرق إيجاد مكان آخر حتى لو توفر لها المال؟ في كل حال، لقد منحها تشارلز عطلة شهرين فقط كما على سوزان ان تعود الى المدرسة في شهر سبتمبر/ ايلول. لا حل لها الا البقاء هنا حتى لو لم تحب هذا التدبير. انها ثمانية اشهر فقط، ومتى استتب بها المقام بطريقة مرضية، فلا حاجة لها لأن تريا اندريه لاروش، فهما لا تدفعان ايجاراً لتضطرا الى رؤيته، ولا شك ان زوجته ستسارع الى الاعتراض اذا بدأ يتردد عليها بكثرة... هل هي غير واثقة من نفسها ومن مشاعرها الى حد الاستسلام الى فكرة الهرب الجبانة؟ ان الماضي مات، والألم الذي نحسه ناتج عن جرح قديم فتحته فجأة يد ثقيلة قاسية. فكل جرح يتعرض للهواء قد يتأخر شفاؤه، لكن ليس من شيء يقنعها بأنها ستحل يوماً عن احساسها بالكراه والاحتقار تجاه الرجل الذي ايقظها بقسوة على حقائق الحياة.

٣- لماذا نام الحب؟

استيقظت هاربيت على صوت الماء الذي كانت سوزان تعبته في الابريق، وقد تمكنت من تحريك الجمر دون ان تحدث صوتاً يزعج خالتها، ثم أضافت بعض الأغصان اليابسة وبعض قطع الكرتون من بقايا اللعب التي كانت تحتوي المأكولات، ونجحت في ايقاد النار لتغلي الماء المطلوب للافطار.

تحركت هاربيت في نومها، وأحست انها مرتاحة برغم تشنج ظهرها. في الخارج، كانت الطيور تغرد وزائحة البراعم تفتح الجوباليعير. كل شيء أصبح اكثر اشراقاً مما كان يبدو في الظلام، مع ان اشعة الشمس التي تسللت عبر النوافذ الملطخة كانت تضيء عيوب الغرفة.

نامت هاربيت بثيابها، والآن عندما خرجت من كيس النوم، أحست بالحرارة والعرق وتذكرت ما قالته عنها سوزان في الليلة الماضية بأنها عانس. هذا التشبيه بدا أصح في تلك اللحظة لأن منظرها يوحي بذلك.

سألته سوزان وهي تضع الابريق فوق النار:

- هل قضيت ليلة مريحة؟

فلم تنبج لها هاربيت بأنها لم تغمض عينيها قبل ساعات الفجر الاولى.

وسألته بدورها:

- وأنت؟

ثم نهضت وأخذت تطوي كيس النوم فأومأت سوزان بحماسة وقالت:

- نمت كقطعة خشب، ربما بتأثير المناخ.

ثم ملأت صدرها بالهواء النقي وتابعت قائلة:

وقميصها وركضت نحو البيت . لم تبال بتزوير ثيابها لأنها كان تزعم تبديلها في البيت . ووصلته ملهوفة ومصممة على ان تخبر سوزان ما حدث . رأت اندريه لاروش متكئاً على المجلى ، يتحدث سوزان وهي تضع الزبدة على الخبز المحمص . اهتزت ولقت نفسها بالمنشفة المبللة . تساءلت بانزعاج من أين أتى ، وان كان قد شاهدها وهي تستحم في الغدير . ربما خربير الماء منعها من سماع وقع خطاه . لم تحتمل فكرة رؤيته لها وهي تأخذ حمامها المرجل . صباح الخير .

انتصب يحييها بتهذيب ، لكنها لحظت نظرتة المتسائلة وضمت المنشفة حولها .

هل في نبرة صوته سخرية مبطنة ام هي تصورتها فقط ؟ تجاهلت تحيته وقالت بجفاف :

- لقد بكرت في زيارتنا ، فالساعة بالكاد تناهز الثامنة .

اجابها بلطف :

- بعضنا لديه أعمال ، لو وجدتك نائمة لكان علي ان اعود ثانية .

- هل تريد بعض القهوة يا سيد لاروش ؟

سلب سؤال سوزان الفرصة من هاريت لتجيبه ، فدخل الصالون الصغير حيث الحقايب . وفي لحظات ارتدت قميصاً نظيفاً وبطلوناً من القطن المخطط وانتعلت حذاء ذا كعب عال ، وسرت للطول الاضافي الذي منحها اياه . فمع انها ممشوقة القامة ، الا ان اندريه يطولها بعدة ستمترات ، واذا استطاعت تقليل فارق الطول يكون أفضل .

لما عادت الى المطبخ وشعرها المسدل يبرق من الفرشاة ، احست انها تستطيع التعامل معه بالرغم من انها لم تتبرج .

كانت سوزان قد احضرت القهوة وهي تقوم بسكبها وتقديمها الى الضيف . انتظرت هاريت بفارغ الصبر ان يطرح عليها السؤال الملح لديه ، لكنه لم يفعل . لاحظ عودتها بحركة خفيفة من حاجبيه ، ثم اثني على سوزان درايتها في الأمور المنزلية . اشرق وجه سوزان نتيجة الثناء المقصود ، لكن هاريت صرت على اسنانها بقوة وتعجبت لأن اسنانها لم تتكسرا . قدمت سوزان الى خالتها فنجاناً من القهوة ، ورفضت قطعة الخبز متجاهلة الرجاء الذي ظهر في عيني ابنة اختها . فرغم كل التعقل الذي

- اليس الصباح الريفي ساحراً ؟

لفت هاريت كيس النوم ووضعت على الطاولة وقالت متسائلة :

- أنظنين ان الجدول ضحل ؟

فردت سوزان بلهفة :

- جدولنا ؟ لا اظنه عميقاً جداً اذا كان هذا ما تقصدان .

فعبست هاريت قائلة :

- هل بإمكانك ان اغتسل فيه ؟ احسن اني متسخة ، وبحاجة الى حمام

جيد قبل ان أبدل ثيابي .

اجابت سوزان :

- سأذهب لاستطلع اذا أردت .

- كلا ، لا تعمي نفسك ، سأذهب أنا . هل اخرجنا المناشف من الحقيبة

ليلة امس ؟

فتمت هاريت الباب وخرجت الى الحديقة وهي تحمل الفرشاة ومعجون الأسنان والصابون والمنشفة . كانت الحديقة الخلفية كالتي امام البيت ، تعج بالأعشاب والشجيرات العالية . وفيها هاريت تشق طريقها ، رأت حديقة حشائش تنبعث منها رائحة النعناع واكيليل الجبل .

كان الغدير صافياً سريع الجريان وخطر لها ان تذوق طعم الماء ثم عدلت عن الفكرة لأنها لا تريد ان تجازف . خلعت حذاءها وغطت قدميها في الماء الثلج وهي تبسم لأن برودة الماء دغدغت اصابعها . في أسفل المجرى تجويف في الصخر تحول الى بركة ماء صغيرة . وتمت هاريت لو تستطيع تغطيس جسمها الدبق فيها . لا بأس بالاعتسال ، لكنه لا يشبه الاستحمام الكامل ، وبعد التأكد من خلاء المكان نزع قميصها وبطلونها ، وغطت في الجدول . جلست على القاع الرملي ، فأخذ الماء ينساب من حولها وهي ترغمي الصابون بلذة كالأطفال .

في شقتها بلندن حمام كبير وعصري يحتوي كل متطلبات الراحة ، ولذا نسبت مع الوقت كيف تستمتع بمباهج الحياة البسيطة . حتى منزل والديها في ساري كان مزوداً بجميع اسباب الراحة من تدفئة مركزية وآلات غسيل . لكن الجلوس هنا جعلها تحس باللذة التي تفتقدها . وبحركات رشيقة جفنت جسمها بالمنشفة لتعيد اليه بعض الدفء ولبست بطلونها

حاولت اقناع نفسها به الليلة الماضية، كان شيء بحثها على ابلاغه انها
ستوكان البيت.

وعلق لاروش فجأة:

- اخبرني ابنة اختك انك خبيرة بالسيراميك.

فرمقت سوزان بنظرة منزعجة وأجابته:

- انت تعلم ان الأولاد بيالغون.

تجاهلت تلمر سوزان وتابعت قائلة:

- أتصور انك ترغب في معرفة قراري من ناحية البيت.

وضع اندريه فنجاناه على الطاولة، وكان اليوم يرتدي بنطلوناً من الجينز
يتهدل على وركيه وقميصاً اخضر زيتياً يضيفي على ملامحه نوعاً من
الشحوب. عندما استدار ليواجهها، احست انه ينوي تأجيل سؤاله عن
القرار الذي توصلت اليه فشرعت بارادتها تضعف... يا الهي، قالت
لنفسها، هل يريدني ان أبقى هنا؟

- أنت ذاهبة؟

لم تكن هذه العبارة بمثابة سؤال بل كأنه يقرر واقعاً. تحوّل انتباه هاريت
ليرهة عندما سمعت سوزان تشهق معترضة. ثم نظرت اليه وأنكرت
التهمة بقولها:

- لم يكن لدي متسع من الوقت لكي اجد بيتاً آخر ولادخل في مفاوضات
البيع والشراء. لكن بالطبع أتوقع منك ان تؤمن السريرين اللذين وعدت
بهما، والطباخ.

اجاب بالفرنسية:

- بالطبع.

كانت علامة قلة انتباه ان يجيب بلغته الخاصة، وأجبرت هاريت على
تجاهل الاستفسار الصريح الذي بدا في عينيه. كانت نصف غاضبة من
نفسها لأنها قبلت البقاء وتميل الى لومه لهذا الوضع. لم تستطع اقناع نفسها
بان لا علاقة له بهذه القصة. وبتصرف صيغاني ارادت ان تجعل منه كيش
فداء، ومن أجدر من أندريه لاروش ان يكون ذلك الكيش؟

سمعوا وقع أقدام في الخارج، ونظرت هاريت بتعجب الى ولد في
الخامسة عشرة من العمر يقف على العتبة. كان شاباً وسيماً طويل القامة ذا

منكين عريضين وشعر أسود وملامح رقيقة تدل على ذكاء. وقف رافعاً يديه
ليستد نفسه على حاجب الباب، وارنعتت عيناه باهتمام عندما رأى
الفتاتين ثم انفجرت أسارير وجهه بإسامة لما وقع بصره على الرجل.

وقال له الشاب بارتياح:

- انت هنا؟ كنت ابحث عنك.

علمت هاريت على الفور من هو. فالشبه كان واضحاً، إذ ورث
الشاب عيني ابيه. لم يكن مرتبكاً وهو يقف هناك والفضول يعمق نظراته.
قلص اندريه عضلات كتفيه قبل ان ينظر صوب الشاب. ثم قال له
بالانكليزية:

- لا تملك هذا البيت بعد اليوم يا بول، وكان باستطاعة لويز ان تقول
لك اين انا.

لويز. هل هذا اسم زوجته؟ توقفت هاريت عن التنفس. هل من
المعقول ان ينادي زوجته باسمها امام الشاب؟
وهتف الزائر مندهشاً:

- ماذا؟

قابل عيني اندريه بتحد ودارت بينها معركة بصرية صامتة، ثم نظر الى
وجه سوزان الذي تورد فجأة ثم حوله الى هاريت وقال:

- عذراً ابنتها الأنستان.

بدا غير مقتنع بما يقول، وسمعت هاريت صوت تنفس اندريه

الغاضب. وقال:

- هذا ابني بول.

لم يكن بحاجة الى التعريف عن ابنه لأن الشبه بينها واضح، لكن

هاريت ردت قائلة:

- صباح الخير يا بول.

تأملها الشاب باهتمام وعلق بتمهل:

- انت الأنسة انغرام اليس كذلك؟

واندهشت هاريت للسهولة التي نقل بها حديثه من الفرنسية الى

الانكليزية.

ثم اضاف:

- قال لنا والدي انك اشتريت هذا المكان بدون ان تعالينه.
 وخطا الى الامام متجاهلاً نظرات اندريه المتعصبة وتابع يسألها:
 - هل قررت البقاء في روشفورت؟
 - روشفورت.
 قطبت هاريتت حاجبيها عند سماع اسم روشفورت، واستوضحته
 قائلة:
 - اتقصد روشلاك؟
 نظر بول بسخريه الى والده، وهز كتفيه قائلاً:
 - ربما. في كل حال، هل ستبقين هنا؟
 اجاب والده:
 - هذا الامر ليس من اختصاصك.
 فاعترض بول قائلاً ببراعة:
 - ربما استطعت مساعدتكما.
 لكن هاريتت لاحظت ان والده لم ينخدع بكلامه وشاطرته الرأي ثم
 استدارت قائلة:
 - لا تجعلنا نؤخرك عن اعمالك.
 - حسناً.
 ونظر اندريه الى ابنه بعصية ثم قال هاريتت:
 - سأرسل الاثاث المطلوب في وقت لاحق من النهار.
 - شكراً.
 تحركت شفتا هاريتت بنوع من الابتسامة المهذبة المجردة من الدفء.
 وحول بول طرفه بين الانستين لكن ذراع ابيه قادته نحو الباب وقال اندريه
 وهما يخرجان:
 - اذا واجهتكم اية صعوبات اخرى فارجو متكما الاتصال بي.
 لم تدرك هاريتت الا بعد مغادرتها انها لا تعرف اين يسكن اندريه.
 وركضت سوزان واحتضنت خالتها قائلة بلهفة:
 - شكراً. شكراً.
 لكن هاريتت لم تكن صافية المزاج لتقدر عفوية رد فعل سوزان،
 واجابتها باختصار:

- لا شكري، علينا ان نعمل كالعييد قبل ان نبدأ بالتمتع بهذه
 الاجازة.
 على الأقل، العمل الشاق سيبعد طيف اندريه لاروش عن مخيلتها.
 استعانت بمخل ومطرقة لفتح نوافذ الطابق العلوي، مع العلم ان
 محاولة افئافها ثانية ربما تصبح مستحيلة. طلبت الى سوزان ان تنظف ارضية
 غرفة النوم ثم نقلت كل محتويات المطبخ الى الخارج وبدأت بتنظيف
 الجدران والخزائن. كان عليها ان تؤجل تنظيف قاعة الجلوس، وفي أي
 حال لن تقضيا وقتاً طويلاً في تلك الغرفة.
 في الخارج وجدت كشكاً صغيراً قرب بيت الحلاء يحتوي بعض ادوات
 الزراعة البدائية. اخذت منجلاً ثقيلاً، ثم طوحت ببراعة في الهواء، فرأت
 بدهشة رؤوس زهيرات دوار الشمس تقع امام قدميها.
 كان المنجل حاداً اكثر مما تصورت، فنظرت الى الخديقة المغمورة
 بالأعشاب البرية، وقالت لنفسها ان دور كل هذا يأتي لاحقاً.
 عادت الى المطبخ حيث الجو حار وال نار لا تزال متقدة، فلم تحمرو على
 اطلاقها قبل ان يرسل لها الطباخ. منذ الامس لم تتناول وجبة ساخنة،
 فقررت ان تحضر بعض البيض واللحم المقدد على النار اذا اضطرت
 لذلك. لم ترغب في وضع المقلاة المطلية بمانع ضد الالتصاق على الموقد،
 لكنها مجبرة على ذلك لأن سوزان بحاجة الى وجبة أفضل من الخبز والحين.
 عندما ناهزت الساعة الحادية عشرة بدا منظر المطبخ مقبولاً. مع انه
 يحتاج الى طبقة من الطلاء، الا انه اصبح نظيفاً على الأقل.
 في هذه الاثناء كانت سوزان قد نظفت غرفة النوم، فتعاونتا على سحب
 الفراش الى الخديقة، ثم فككتا السرير واخرجتا قطعه ايضاً.
 صوت سيارة في الخارج جذبها الى النافذة. وعندما رأت هاريتت
 الشاحنة الصغيرة محملة بالاثاث احسست بارتياح. كان البيت قد اكتسب
 رونقاً، والشيء الوحيد الذي يزعج هاريتت هو وجود اندريه بالجوار.
 عرفت سائق الشاحنة بنفسه فقال ان اسمه برتراند مادوك. كان قصير
 القامة ثقل البنية رمادي الشعر وله عيان صغيرتان بينتان شهبان الأزوار.
 عندما رأت هاريتت خيل اليها انه لن يستطيع حمل السرير الى الطابق
 العلوي، لكنها سرعان ما تغيرت رأيا لانه بدا شديد العزم وبسهولة متناهية

استطاع ان ينقل السرير والمغسلة.

وهنت سوزان متأفة:

- لقد انتهيت لتوي من تنظيف الغرفة!

لكن برتراند اكتفى بهز رأسه وقال يطمئنها:

- لحظة يا آنسة.

فأمثلت سوزان، ووقفت تنظر اليه.

لم يرسل اندريه سريرين وطبائخاً فقط، اذ حوت الاغراض خزانة صغيرة وتواليت، قديمة قيمة ومزخرفة ببراعة، ومقعدين من القطيفة الحمراء، وأريكة باهتة اللون، ومكتباً من القرن التاسع عشر. طلبت هاربيت من برتراند ان يضع الخزانة الصغيرة في المطبخ لأنها تصلح للاطباق والأواني... لينها نظفت قاعة الجلوس قبل ان تصل الاغراض.

ضايق هاربيت ان تشعر بالامتنان نحو اندريه، انما بدون شك كان لطفاً منه ارسال هذا الاثاث. هل استخدم هذه الطريقة لجعلها مدينة له؟ لكن لماذا تفكر هكذا وقد دفعت مبلغاً مناسباً ومن حقها ان تحصل على تلك الاشياء؟ وتساءلت من اين اتى بكل هذا. لو انه اشترى اثاثاً عصريةاً جديداً لكلفه اقل، ما لم يكن حصل على هذه القطع من احد القصور المتداعية... ليست هذه المرة الأولى التي تساءلت فيها عما كان يفعل في قاعة المراد في سان جرمان حين رآته قبل ثماني سنوات، وفجأة ادركت لماذا بدا اسم روشلاك في حينه مألوفاً. فبعض الاغراض التي عرضت للبيع آنذاك كان من قصر روشلاك. طبعاً! لماذا لم تتذكر هذا من قبل! اذن من هو اندريه؟ وكيل عند العائلات الارستقراطية التي لحقها الفقر مع الزمن؟ انتهى برتراند عمله في غضون ساعة تقريباً، ورفض ان يتناول الشراب. ثم صعد الى سيارته فاضطرت هاربيت الى اللحاق به ركضاً قبل ان يقفل باب السيارة وقالت:

- ارجوك ان تشكر السيد لاروش بالنيابة عني.

فرد مبتسماً:

- لا شك انك تستطيعين شكره بنفسك.

ثم رجع بالسيارة الى خلف ومضى.

عادت هاربيت الى البيت وهي تفكر في كلماته. لقد بدا واضحاً بما يقول.

هل الكل يعرف ان اندريه يتردد على البيت؟ ألم يعترض احد؟ قررت بحزم انها لا ترغب في ان تتكرر هذه الزيارات، وواجهت بهجة سوزان بوجه مكفهر.

لم تستطع اظهار عدم اللامبالاة لوقت طويل. فالطباخ الذي ارسله اليها كان جديداً ويعمل على الغاز ومزوداً بفرن. الخزانة اصبحت اجمل الآن وهي مزينة بصحون على رفوفها. وحتى الشمس استطاعت الآن ارسال اشعتها من خلال النوافذ النظيفة.

حملت هاربيت حقائبها الى الطابق العلوي، وانصرفت الى توضيب السريرين ثم فردت عليها غطاءين جميلين فبدت الغرفة اكثر اشراقاً. انتهت سوزان بسرعة من توضيب الثياب، الفساتين والتنانير والبنطلونات معلقة بترتيب في الخزانة، والملابس الداخلية وضعت في الأدراج.

التفت سوزان الى خالتها وهنت بسرور:

- الا يبدو كل شيء جيلاً؟ ألسنت سعيدة ببقائك هنا؟

فأحاطتها هاربيت بذراعتها واعترفت قائلة:

- كنت على حق بأن هذا المكان قابل للتحسين.

بعد تناول وجبة الغداء، كان الجو حاراً للقيام بأي عمل. ارتدت سوزان لباس السباحة ونزلت الى الغدير، ثم استلقت على حصيرة غير مبالية بالنمل.

حملت هاربيت كرسيماً هزازاً الى الخارج، واخذت تكتب اسماء الاغراض التي اعتقدت انها بحاجة اليها. لكنها حسرت ان هذا العمل البسيط مرهق، فوقع القلم من يدها واسترخت على المقعد. كان الهراء ساكناً لا يداعب اوراق الاشجار، ولم يعكر الهدوء سوى تغريد العصافير واصوات الحشرات وخبر الجداول الناعم.

تحولت افكارها نحو اندريه لاروش لعدم انشغالها بشيء، والى الصدقة الطريفة التي جعلته هو مالك البيت الذي اشترته. ربما لحسن الحظ لم تستقص عنه معلومات اكثر لأنها لو عرفت المزيد لما حضرت الى هنا. وبالرغم منها عادت بها الذكريات الى المرة الأولى حيث التقت هذا الرجل الذي لعب دوراً محورياً في حياته... منذ ثماني سنوات كانت في

الثامنة عشرة من عمرها وفي اول رحلة لها بصحبة تشارلز هوكني الى باريس . كانت يومذاك في غاية السرور عندما اتيح لها لس المعروضات التي قرأت عنها فقط ، وزياراتها المتعددة لقاعات العرض فاجأتها بثروة من الجمال والحرفية المتقنة . ربما في تلك اللحظات اصبحت تهوى البورسلين . . . عندما حملت في يدها مثقالاً رائعاً وتعلمت ان تميز ماركة الدوق دو فيلوروا مؤسس المصنع . ام انها مع مرور الزمن ، تذكر كل تلك التفاصيل وتعطيها وزناً اكثر مما تستحق؟

مهما كانت الحقيقة ، تذكر حتى الآن كيف وقفت بجانب تشارلز في مؤخرة قاعة المزاد الواقعة في ساحة سان جرمان ، وهي ترأب متادي المزاد العلني يقوم بعمله . احست فجأة ان هناك من يراقبها ، ومع ان تشارلز حبسها مستغرقة بالمزاد ، فقد استدارت ونظرت الى رجل واقف في الناحية الاخرى من الغرفة يحدق اليها باهتمام . كان اطول من معظم الرجال في القاعة ، اسمر البشرة ونحيل . تقاسيم وجهه غير منتظمة لكنها اكثر جاذبية من التقاطيع الوسيمة . عينان غائرتان ، خدان عاليان ، انف بارز وقم به نوع من الالتواء القاسي . تذكرت انه كان يرتدي بزة من المخمل الكحلي وقميصاً من الحرير . لم تلتق هاريت من قبل احداً يشبهه ، اما الطريقة التي كان ينظر بها اليها ، فجعلتها تحس بالضعف والخوف الداخلي . لم يكن مثل الشبان الذين عرفتهم ، ولا مثل تشارلز الذي كان بديناً ، قصير النظر وأصلع . ابقت ان هذا الرجل في الثلاثينات ، اي اصغر من تشارلز بعشرين سنة ، ورائق من اعجاب النساء به . احست بالذعر عندما اثار مناسبة ليتكلم اليه تشلجر . . . وبالتالي اليها . لكنها ادركت الآن ان لم يكن داع للحواف في حينه . كان رائعاً وجذاباً ومن السهل التحدث اليه . سألتها عن عملها وعن طموحاتها وكم من الوقت ستبقى في باريس . جعلها تشعر انها شخص مميز . وعندما غادرت قاعة المزاد كانت تحس ينشوة دامت حتى اعادة تشارلز الى الواقع . في اليوم التالي اتصل بها هاتفياً فنسيت توصيات تشارلز وقبلت تناول العشاء معه في تلك الليلة . لم يوافق تشارلز لكنه لم يستطع منعها ، وحتى لو فعل لكانت تجاهلته . اصطحبها اندريه الى مطعم في مونمارتر .

اوصلها الى فندقها رأساً ، وخجلت من نفسها عندما احست بخيبة وهو

يقبل يدها متمنياً لها ليلة سعيدة .
ووبخها تشارلز قائلاً :

- هل فقدت عقلك ؟ لو عرف اهلك بهذا التصرف فما عساهم يقولون ؟
فاجابته بحزم واحترام :

- التي في الثامنة عشرة من العمر يا سيد هوكني واهلي لم يتدخلوا ابداً في اختياري لاصحابي .

كتمت عنه ان والديها يعرفان جميع اصحابها عبر اهلهم او شقيقاتها الأكبر سناً ، ومن جهة ثانية لم تشعر ابداً بالنشوة التي احستها مع اندريه وكانت غيبة عندما اعتقدت انها تسيطر على الموقف . مخاوف تشارلز كانت في غير مكانها لأنها بعد تلك الليلة لم تر اندريه ثانية الا بعد عدة اسابيع . عادت بصحبة تشارلز الى لندن ، وبالرغم من الاحساس بالفراغ كلما تذكرت باريس استطاعت ان تتحمل متاعب الحياة . في هذه الأيام كانت تقيم مع والديها في غيلفورد وتذهب كل يوم الى لندن . هذا يعني السرعة في الصباح والمرولة في المساء ، لكن والديها تحب هذا التدبير وهاريت لا تمنع . كانت تلتقي بعض الناس في عملها الا ان جميع اصداقها يقيمون في غلينورد ، ولو لم تتواجد هناك لحرمت من الحفلات الراقصة والاجتماعات التي تذهب اليها مع الاصدقاء .

كانت وحدها في المخزن ذات يوم حين دخل اندريه ، وقد فقدت الأمل بمشاهدته ثانية واصبحت مقتنعة بأن ما قاله تشارلز صحيح ، وهو ان اندريه يتلاعب بعواطفها ، وانها محظوظة لأن القصة انتهت دون ان تخلف جراحاً . مجيئه المفاجيء اربكها ، وبدا متغيراً كأنه كبير سن أو فقد شيئاً من وزنه . حياها وكأنه فقد ايضاً شيئاً من جاذبيته التي عهدتها ، والشيء الوحيد الذي لم يتغير نظرة عينيه اللتين قالتا لها انك متعة للنظر . وسألته لعجزها عن قول شيء آخر :

- ماذا تفعل في لندن ؟

لكنه تجاوزها الى داخل المخزن فلحقت به الى الغرفة الخلفية .

تشارلز لم يكن يسكن فوق المتجر ، بل في منزل مريح في سانت جونز وود وهذه الغرفة كانت مخصصة لاستضافة الزبائن . وعلق اندريه قائلاً :

- رب العمل ليس هنا ، رأيتك وهو يغادر المكان .

ثم نظر اليها سائلاً:

- قولي لي، هل اردت لقائي ثانية؟

عندما عاد تشارلز الى المخزن كان الباب مقفلاً والستائر مسدلة واضطر الى ان يحدث ضجيجاً لوقت طويل قبل ان تأتي هاريت لتفتح له. شعر انه قطع عليها خلوتها، وتساءلت هاريت كيف لم يطردها من العمل. لكنه جلس يرشف القهوة ويتحدث مع اندريه، بينما اخذت هي توضب الأمور. لم تفهم كيف استطاع اندريه ان يبدو هادئاً بعد كل ما حصل الا انها لاحظت ارتجاف يده وهو يرفع فنجان القهوة. لاحظت كذلك انه ليس مرتاحاً كما يبدو. تصرفها افزعها اذ لم تتصور انها تستطيع التصرف بهذا الطيش دون ان تحس بتأنيب الضمير. كيف سمحت لاندرية ان يعازلها؟ هذه اول مرة تتصرف فيها على هذا النحو مع رجل. ولو لم يعد تشارلز في الوقت المناسب لكانت فعلت كل ما طلبه منها اندريه. اعترفت لنفسها بهذا لانها تعودت ان تكون صريحة مع ذاتها. كانت غير مرتاحة لما حدث وكانها وجدت شخصية اخرى بداخلها لم تعرفها بعد. اهي كالفتيات اللواتي قرأت عنهن، يلقين بأنفسهن في حضن اي رجل؟ لكنها توغلت في الماضي وايقنت ان الحياة ربما سهلت عليها لو كانت مثل هؤلاء النساء.

وفي السنوات التي تلت خيانة اندريه تاقت الى ان تشعر بعاطفة نحو اي رجل آخر، لكن احساسها جمدت، والبرودة التي نعتت بها كانت في مكانها. انما في ذلك الزمان، سيطر عليها خوف كبير من ان لا ترى اندريه ثانية. اما هو فكانت الحالة غير طبيعية بالنسبة اليه، لأن تشارلز كان يتصرف معها وكأن والدها، ولا شك ان النسوة اللواتي يخالطنه اندريه كانت لديهن خبرة في هذه الأمور، فلا يحتاج للاختلاء بهن في الغرفة الخلفية لمخزن اثريات، وتصورت الشفق المضاءة بالشموع والمفروشة بجلود النمر... ما عادت تهتم لجاذبية شعرها الاسكندنافي الأشقر، ولا لتفتح صباها الذي لا يستطيع اي تبريح تقليده.

لم يكن خوفها في محله، ففي الأشهر الثلاثة التي تلت هذه الحادثة، امضى اندريه اوقاتاً طويلة في لندن، حيث كان يطير اليها من باريس صباح السبت ويعود مساء الأحد. لم يوافق تشارلز على ما كان يجري لكنه ادرك انه لا يستطيع تغيير رأي هاريت بالنسبة الى اندريه لاروش.

والدها كانا اقل تفهماً. لقد التقيا اندريه في عدة مناسبات لكن والدتها وجدت فارق السن بينهما كبيراً. اما والدها فلم يكتف بتلميحات اندريه العفوية الى بيته في فرنسا، بل اراد ان يعرف شيئاً عن عائلته وكيف يكسب قوته، وهاريت بدأت تقلق كلما تهرب اندريه من الاجابة. علاقته معها لم تكن مرضية. كان عليهما ان يلتقيا دائماً في الاماكن العامة فلم ينفردا ببعضهما ابداً. في الحقيقة، كانت مرتاحة لذلك مع العلم ان احساسها كانت تتطلب مزيداً من الالفة، ولم تعد تثق بنفسها من ناحيته، وتربيتها اجبرتها ان تنقيد بالمبادئ الاخلاقية التي يتمسك بها والدها. ولكن كل ذلك لم يمنعها من الأحلام، وطالما عادت بها الذاكرة الى اللحظات التي قضتها معه في مكتب تشارلز، متمنية لو لم يقطع عليها تشارلز ذلك اللقاء.

ولأسابيع عديدة تدمرت والدتها لأن اندريه لم يقدم هاريت الى عائلته كما تعرف هو بعائلتها. الم ترغب هاريت بلقاء عائلته؟ الا تفكر انه يجب عليها ذلك؟

اصبحت الفتاة نائرة الاعصاب ومكبوتة. فقالت لاندرية ما كانت تردده والدتها، ولم تصدقه عندما قال لها انه فقد والديه. وسألته بارتياح:

- مع من تعيش اذن؟

لكنه رقص المناقشة حول هذا الموضوع واجابها بنعومة:

- ما الفرق؟ هذا الموضوع يخصنا وحدنا.

فأجابته:

- انت التقيت بعائلتي.

فقال بلهجة لا مبالية:

- انت التي اردت ذلك بدون ان اطلبه منك.

اغاظها بعدم اكثرائه فسألته محتدة:

- تقصد انك لم ترغب في ذلك؟

بعد لحظات كانت تشاخره بعنف، واخرجت كل ما تكلمت في جمعيتها من مرارة وحسرة على نفسها في الاسابيع الماضية... لم تلاحظ انه لم يشترك بالنقاش ثم نهض من مكانه وتركها وحيدة في مقصف المطار. الأيام التي تلت هذه الحادثة كانت مؤلمة جداً بالنسبة الى هاريت.

وصارت تذهب من البيت الى العمل كأنها دمية مسيرة. ثم اخبرت امها ان كل شيء قد انتهى بينها وبين اندريه، انما لم تذكر السبب. ربما حزر والداها لكنها لم يسألها عن التفاصيل. ونساءلت هاريت اذا كانت تستطيع ان تسامحها يوماً على ما فعلاه بها.
بعد اسبوعين، اتصل بها اندريه هاتفياً وفي وقت كان يعلم ان تشارلز في فترة الغداء. وعندما سمعت صوته اصطكت ركبتيها من الضعف...

- هل سمعتني انت؟

مضت ثوان من الصمت، قال بعدها اندريه:

- كنت اود الاعتذار فقط يا هاريت، ولاسمع صوتك مرة اخرى.

صدقيني، لست انت المألومة على اي شيء.

ملاها الذعر فأجابت هاتفة:

- ماذا تقصد؟ متى اراك؟

- لن ترويني بعد اليوم، لن ازور لندن ثانية.

- ولكن يا اندريه.

كانت يدها المسككة بسماعة التلفون تنصب عرفاً. واردفت:

- اندريه، اود ان اراك ثانية.

اجابها بخشونة:

- لا فائدة من ذلك، والداك على حق. انت تحتاجين الى رجل اصغر سناً...

شخص مثلها يعيش بحسب مفاهيمها ومثلها.

احست هاريت بالحجل وفقدت صوابها وهي تحتج بياس:

- انا لا ابالي بها! لا تهمني مثلها.

وعندما سمعها تجهم بالبكاء فاطعها قائلاً بوحشية:

- انت لا تقصدين ماذا تقولين. والدتك تعلم اني لا استطيع

مشاهدتك بلا...

وانقطع عن الحديث فجأة وخافت ان يكون قد انتهى المكالمة، فتوسلت

قائلة:

- ارجوك، دعني احضر لارك. اسمع لي بأن اجيء الى باريس، بامكاني ان ادعي السفر مع السيد هوكني. ارجوك يا اندريه، لا ترفض طلبي.

لم يكن من السهل اقتناعه، ومع انها عرفته جيداً فقد نساءلت اذا كان قد فشل في ردعها. وهكذا ذهبت الى باريس، وقضت عطلة نهاية الاسبوع معه في فندق في شارع ريفولي.

رغم كل ما حدث بعد هذا اللقاء اعتبرت هاريت هذه العطلة اجمل ما في حياتها. بدت باريس كأكثر مدن العالم رومانطيقية، وهي في الثامنة عشرة من العمر ومغرمة برجل استطاع ان ينسيها كل شيء. كان ينتظرها في المطار فركضت اليه وضمها الى صدره فنسبت تعاسة الاسبوع التي فرقتهما.

لكن العودة الى لندن كانت اسوأ مرحلة. فقد توقعت الى حد ما ان يطلب منها اندريه البقاء الى جانبه، او على الأقل ان يعرمد معها الى لندن، لكنه لم يفعل. راقفها الى المطار، وحيها بيده بينما كانت الطائرة تم بالاقلاع. وهذه كانت آخر مرة رأت فيها اندريه.

تسلمت منه رسالة وبعد قراءتها الفت بها في النار.

بعد وقت قصير، استأجرت شقة في المدينة، ومع ان اموراً عديدة حدثت وعقدت صلحها مع والديها، فلم تسمع نفسها على الطريقة المخجلة التي عاملتها بها.

كان تشارلز الانسان الوحيد الذي احس وتفهم ما قاسته. ساعدها لتجد شقة تعيش فيها. ردت له الجميل بالعمل بجدية ونشاط لترفع نقل العمل عن كاهله، كانا مثل شريكين وليس كرئيس ومرؤوس. وعندما قتلت شقيقتها الكبرى وزوجها، اقترح تشارلز عليها ان تأخذ الفتاة بعيداً وتذهب بها.

- انك بحاجة الى اجازة.

وكان هذا صحيحاً لأنها لم تحصل على اجازة منذ عيد الميلاد وقد بدأت تحس بالارهاق. لكن كيف ستحصل على الراحة مادام اندريه لاروش الى جوارها؟ ما عسى تشارلز يقول لو علم بالأمر؟ وماذا سيقول والداها؟ نهضت الآن من كرسيها، وسارت عبر البوابة المؤدية الى الدرب.

اقتلعت بعض الاعشاب واخذت تمضغها وهي غائبة عن الواقع تنظر الى
الاشجار التي حجبت الجدول عن النظر. لو لحقت الدرب نفسه الذي
سكنه اندريه، هل تصل الى بيته؟

ماذا عسى زوجته تقول لو وصلت من دون دعوة، وعائلته؟ تساءلت
عن عدد اطفاله وفكرت بغضب، انه يستحق ان تذهب الى بيته وتعرف
نفسها. تخيلت ذهوله لو عاد الى البيت وراها جالسة مع زوجته واخذ
يتساءل عن الاشياء التي باحت بها!

قلصت شفيتها فاقدة الصبر وقالت في نفسها، يا الهي، هل سامضي
الاجازة كلها وانا انحسر على الماضي؟ الماضي مات! كم مرة يجب ان تذكر
نفسها بهذا!

وفي طريق عودتها الى البيت تذكرت بول وايقنت انه كان في السابعة من
العمر عندما قضت العطلة مع والده في باريس.

٤ - تحت ظل القصر

في الأيام القليلة التالية، وجدت هاريت ان لديها اعمالاً كثيرة لتتملا
فراغها. ذهبت الى روشلاك وعدا الاغراض الأساسية التي اشترتها مثل
الحليب والبيض والحبز، ابتاعت طلاء وفرشة وقماش ستائر. كان
الصالون الغرفة الوحيدة التي لها ستائر اثنا في حالة يرثى لها، والاثاث
الجديد يستحق ستائر افضل. الخياطة باليد ستكون شاقة، لكن باستطاعة
سوزان المساعدة بينما تقوم هي بطلاء الجدران.

انتظرت ان يعود اندريه لشكره على الاثاث الذي ارسله، لكنه لم يات
واحست بالانزعاج من ذلك. ارادته ان ياتي فتشكره وينتهي الامر، وان
يجعلها تنتظره لاجل غير مسمى ثمناً مع عاداته. ثار غضبها ومسحت
بقعة من الدهان لطخت فستانها الأزرق البحري.

مع نهاية الاسبوع بدأ البيت يكتسب جمالا. زينت حيطان المطبخ
البيضاء بعدد من الصور التي وجدتها في سوق روشلاك، اما الخزائن
الصغيرة فبدت اجمل عندما طليت باللون الاصفر، وعدد من قطع السجاد
الصغيرة بسطت على الارض. القنديل المندي من السقف كان يبرق لأنه
قرنك جيداً. نال الصالون وغرفة النوم حظهما من التنظيف والدهان
والتوضيب، مع ان هاريت كفت عن محاولاتها العديدة لاقفال النوافذ.
مضايقة العنكبوت المعشعش هناك، وحتى تعهد سوزان بالقضاء على
الحشرات الزاحفة لم تغير رأياها.
عندما اصبح البيت على ما يرام قررت سوزان استكشاف الجوار، فهما لم

تعطياً بينك وكازينك الا اهتماماً عابراً وبخاصة ان الضاحية المحيطة بها
مبثوثة بالقصور والقلاع. ومن نقط المراقبة الموجودة على سور قصر بينك
كانت مشاهدة وادي النور دون تمكينة. قررت هاريت ان تزور قلعة نود
الواقعة على ضفة النهر المواجه لبينك. خلال حرب المئة سنة احتل الانكليز
قلعة نود، وجرت عدة معارك دامية بين الجيشين المتخاصمين، وهذه
المنطقة غنية بالتراث التاريخي، وقد عثر في الكهوف والمغاور على بقايا
هياكل عظمية ورسوم لسكان الكهوف.

وبينما سوزان تغسل اطباق الفطور قالت لحالتها:

- لنبدأ اولاً بزيارة القصر الموجود هنا. اقصد اذا كان صحيحاً ان
مجموعة فنادق اميركية نود ان تشتريه كما قال السيد لاروش فلا بد ان يكون
رائعاً.

فاجابت هاريت:

- لا اظن ان موقعاً كهذا ينال اعجابهم.

واكملت وهي تفحص درجة السمرة التي اكتسبها جلدها:

- الملاكون القدامى كانوا يعرفون اين يبنون قصورهم ويقيمون قلاعهم
في افضل الاماكن حيث المناظر الخلابة وفي الاراضي التي تصلح لحماية
قلاعهم. اظن ان مجرد استطاعتهم ان يكشفوا ما حولهم على مد النظر نوع
من التحصين ضد الغزوات.

- اريد ان ارى هذا القصر في اي حال.

اجابتها هاريت:

- لا اجد مانعاً لذلك. كنت سأقترح زيارة كاهورز، انما نستطيع تأجيل
هذه الزيارة الى يوم آخر.

نشف سوزان يديها ثم قالت:

- الا تمانعين حقاً؟

ابتسمت هاريت واجابت:

- لماذا مانع؟ اعتقد انه سيكون يوماً حاراً ومن الأفضل ان لا نبتعد اكثر
من بضعة كيلومترات عن روشلاك.

وجدنا سيارة الفيات ساحة بعد وقوفها في الشمس لبضع ساعات،
وفتحت هاريت جميع النوافذ قبل ان تصعد اليها. كانت ترتدي بنطلوناً

قصيراً وقميصاً يرتقالي اللون من دون اكمام، وجلد ذراعيها تكسوه سمرة
عسليه جذابة. جلست سوزان بقرتها وهي تلبس ثياباً مشابهة، وسالت
بقولها:

- هل سأشبهك في يوم من الايام؟ ليت شعري كان اشقر مثل شعرك.

فردت هاريت:

- ان حمراوات الشعر يلفتن النظر اكثر من غيرهن.

وتابعت وهي تبسم:

- بالطبع ستكبرين كما فعلنا. تذكري دائماً انه من الأفضل ان يكون المرء

نحيفاً وليس سميفاً.

فجمعدت سوزان انفها قائلة:

- في المدرسة فتيات ذوات قامات رشيقه.

ادارت هاريت محرك السيارة وقالت:

- هل هن طويلات القامة؟

- تقريباً بطول قامتي، اي حوالى خمسة اقدام وبوصتين.

- وما قياس حوضهن؟

- لا اعلم.

- على فتيات الرابعة عشرة من العمر ان لا يباليين بهذه الامور.

- لكنهن يلقبني «بالعظام» لنحول جسمي.

استطاعت هاريت ان تخفي ضحكاتها ثم قالت:

- لو كنت مكانك لما سمحت لهذا الشيء ان يؤثر في، سوف تتغيرين

مع الوقت.

زمت سوزان شفيتها وغمغمت:

- هذا الشاب... بول.

وتوقفت قليلاً لتفهم خالتها عما تتكلم ثم تابعت:

- انه لم يعرني اهتماماً اذ كان منهمكاً بالنظر اليك. هل تظنين انك

جذبتته؟

- اوه، يا آهي!

وتجنبت هاريت في آخر لحظة الاصطدام بحصان يجر عربة محملة

بالقش ظهرت فجأة على منعطف الطريق. ردة فعلها كانت عفوية واخفت

اي جواب كانت قد تضطر لاعطائه على ملاحظة الفتاة.

وعندما استعادت رشدها اجابت ببساطة:

- كان يحاول اظهار رجولته فقط يا سوزان.

فاصرت سوزان قائلة:

- انك اعجبته، لقد لاحظت ذلك، ولم لا وانت تجلدين الرجال كما يجذب الرحيق النحل!

شهقت هاريت واجابتها:

- لا تبالغي! انت صغيرة السن لتدلي بتصريح كهذا، يا للساء! انت تنكلمين مثل...

توقفت هاريت عن الكلام مرتبكة وايقنت بغضب ماذا كانت على وشك ان تقول، لكنها لم تحدع سوزان التي تمتعت بحزن:

- في الواقع والدتي قالت ذلك حين سألتها عنك في احد الايام لماذا لا تتزوجين... اجابت... انك لست من النوع الذي يستقر مع رجل واحد.

جلت هاريت عند سماعها هذا التعليق وقالت:

- فهمت.

- هل انت غاضبة؟

ونظرت سوزان الى خالتها بقلق، وحاولت هاريت ان تبسم وهي تجيب:

- طبعاً لا.

فكرت وهي تعطف على منحني متعرج في الطريق، ان ما قالته اختها عنها ألما اذ ظنت ان وجود المعجيين حولها دليل على طيشها هي وليس على طيشهم.

اعتقدت هاريت انها ستضطر الى المرور بروشلاك بالسيارة لتصل الى القصر، لكن على مشارف القرية رأت لافتة كتب عليها ان الطريق الى القصر يمر في درب ضيق مضلل بالاشجار، ويسمح بالمرور لسيارة واحدة فقط. توقفت هاريت مترددة ونظرت حولها ثم قالت:

- مسند الطريق اذا ذهبنا بالسيارة الى هناك. والله وحده يعلم ماذا افعل اذا صادفت سيارة اخرى.

- اذن لنمش. من المؤكد ان القصر ليس بعيداً.

اقترحت سوزان ذلك، وفي اللحظة نفسها فتحت الباب.

ترجلت هاريت من السيارة، ونظرت بشك الى السماء الزرقاء. كانت الشمس ترتفع عالياً وبعد قليل امست فوق رأسيها ترددت ثم قالت:

- لا اعرف، ربما اذا سرنا الى القرية نجد طريقاً معبداً.

فتوسلت سوزان بحماسة:

- اوه، لنذهب من هذا الطريق واذا لم نصل في غضون نصف ساعة نستطيع العودة.

وافقت هاريت لكنها اردفت:

- يجب ان اوقف السيارة بعيداً عن الطريق، في ظل الاشجار لتحميها من حرارة الشمس.

استمر الدرب ينحدر لوقت قصير، ثم انعطفت بانحدار اقوى ووصل فوق مجرى الغدير الضيق. كانت ضفة الجدول مشجرة بكثافة ومكسوة بالاعشاب والاشواك المزهرة، والنباتات الزاحفة تفوح منها رائحة العشب الزكية. في جزئه الأسفل، توسع الغدير واصبح شلالاً سريعاً يتساقط فوق الحجارة المنطاة بالخشار.

نظرت هاريت الى الغدير عابسة وقالت:

- هذا هو جدولنا، انني متأكدة، انظري!

واومات الى البعيد قائلة:

- اليس منزلنا هناك؟

شهقت سوزان وهتفت:

- هو بيتنا حقاً. لا بد ان هذه طريق مختصرة تقود الى القرية.

قالت هاريت:

- كنت اتساءل عن هذا.

تابعتا الطريق فوصلتا الى جسر يقطع الجدول. انتهت الدرب عند هذه النقطة، وخنثت هاريت ان القصر يقع على قمة الهضبة التي تتسلفانها. شعرنا بالحر الشديد بعدما سارتا اكثر من نصف ساعة، انما لم نرغباً في العودة. هذه مغامرة وكانت هاريت تحس الحماس نفسه الذي تحسه سوزان لبلوغ الهدف. وصلتا الى ارض مكشوفة ومن هنا لمحتا القصر لأول

مرة . كان جاثماً على صخرة شائخة ووعرة وأبراجه المتعرجة تبدو صفراء من انعكاس اشعة الشمس . لهُتاً وهما تصعدان بين الجذور والنباتات الزاحفة حتى وصلتا حافة صخرية كأنها ممشى حول جدران القصر الخارجية . كان المنظر من هنا رائعاً يضم مشهد سطوح بيوت القرية وفروع النهر . في البعيد ظهرت أبراج قلعة أخرى متجهة الى السماء وحول القصر بيارات الاشجار المثمرة التي اعطت نوعاً من المناعة للقصر . بدا ان الجدول يجتني تحت القصر وكانت هاربيت تتأمل هذه الظاهرة عندما قاطعتها سوزان بصوت هادئ :

- الا تظنين ان ذلك بول لاروش؟

نظرت هاربيت بسرعة، وبالفعل كان ابن اندريه يقفز في اتجاههم على الممر الضيق، ولم تستطعا محاشيه الا اذا هربتا في الاتجاه المعاكس . حياهما بلا اكتراث بينها انتشرت على ملامحه الجذابة ابتسامة كسولة واردف :

- لم اعرف ان لدينا ضيوفاً .

اجابت هاربيت :

- لم نأت لزيارتكم، كنا نرغب فقط في مشاهدة القصر .

فضاقت عيناه باعجاب عندما استوعب جمال حياهما وقال :

- اذن يجب ان تسمحوا لي بمرافقتكم لزيارة القصر . عادة لا يفتح القصر

للسياح انما اعتقد انه في استطاعتنا بصورة استثنائية ان نفتح .

اجابته هاربيت :

- لن نقبل خدمة كهذه .

نحلب املها لأنها قامت بالرحلة من اجل لا شيء ورمقته بنظرة ثاقبة .

ثم قالت لرفيقتها :

- هيا بنا يا سوزان .

- كلا، انتظرا .

وامسك بول بذراعها ثم افلته عندما نظرت اليه بحدة، وقال متلعثاً :

- ارجوك . . . اود . . . ان اريكما المكان .

فتنظرت سوزان الى هاربيت تناشدها قائلة :

- من فضلك، دعينا نتفرج، لقد سرنا وقتاً طويلاً . . .

تنهدت هاربيت ثم قالت :

- يبدو ان هذا العقار ملك خاص . . .

قاطعها بول :

- ارجوك، لا داع للهرب .

فحدقت هاربيت اليه واجابت :

- انا لم احاول الهرب !

ثم حولت نظرها عنه بسرعة واردفت :

- حسناً، كيف ندخل القصر؟

سأريكما .

ابتسم بول وقادهما الى الدرب الذي اتى منه . سار الثلاثة قرب سور القصر المتعرج، وعندما ابتعدوا عن الوادي الضيق العميق، اخذ الممر يتسع واصبح مظلاً بالاشجار . بعد بضع ياردات وصلوا الى نوع من الحدائق الكبيرة التي تواجه القصر . . . هكتارات من الحشائش الناعمة كالحرير، بدت بنحاحة ماسة الى التقليل . وراى هاربيت الغابات وراء الحديقة حيث تحيلت كوتنات روشفور القدامى بصطادون الغزلان البرية . وكبقية المكان اصبحت النباتات والخضروات تنمو عشوائياً . كان القصر اكبر مما تصورت ومجهزاً بابواب حديدية ضخمة تفتح على الساحة الداخلية . نوافذ تبدو كأنها فارغة .

اتسح المكان بصيغة من الأهمال لكن هذه الحالة لم تطغ على دقة وجمال

النقوش والزخرفة في الجدران، قال بول بنهكم :

- اربعمائة عام من التاريخ تهدم لتصبح عباراً

قالت سوزان متأثرة :

- هل القصر بهذا القدم؟

فهر بول رأسه وقال شارحاً :

- اعيد ترميم معظم هيكله في القرن التاسع عشر، واثناء الحرب احتل

من قبل الالمان ونهب تماماً . مات اجدادي اثناء الاحتلال .

- أسفة لذلك .

وبينما هاربيت تقدم تعازيها، جال في خاطرها ان اندريه اخبرها عن هذه

الواقعة قبلاً .

هز بول كتفيه غير مبال وتقدم نحو البوابات الحديدية، فقالت هاربيت:
- انتظرا! لا نريد الدخول.
- ولم لا؟

اومات هاربيت بضعف وهمست:
- هل القصر مسكون؟

قالب بول حاجيه واجاب:

- البيت الصغير عند المدخل مشغول فقط، الا تعلمين ذلك؟
اجابته هاربيت:

- اعرف؟ ماذا اعرف؟

رد بول بدهشة:

- اتنا نسكن البيت الصغير.

تمت هاربيت لو افتحت الأرض وابتلعتها. كان من السهل ان تلهو
وتتصور رد فعل اندريه عند دخولها مسكنه، لكن الاقتحام الفعلي كان شيئاً
آخر.

قالت سوزان:

- هل تسكنون هناك في البيت الصغير؟ انه لشيء مثير!

لم يكن عند سوزان تحفظات خالتها، فنظر اليها بول باستعلاء ثم التفت
الى هاربيت قائلاً:

- ما الأمر؟ الا ترغين في رؤية القصر؟ اعدك انه ليس متداعياً كما يبدو
للعين.

رفعت هاربيت شعرها بيد مرعجة وبدأت تقول:

- ليس الأمر هكذا.

وعندها خرج رجل من باب البيت الجانبي ووقف ينظر اليهم. كان
ذلك الرجل اندريه. لم تكن بحاجة للنظر اليه لتحس بتقلص عضلات
معدتها، فقربه منها ارسل ذبذبات سيلت طعم العلقم في حلقها. لاحظهم
بالرغم من ان اشعة الشمس كانت في عينيه وتقدم نحوهم.

لاحظ بول عدم ارتياح هاربيت فالتفت حوله وقطب عندما رأى والده
ثم زمجر قائلاً:

- اتساءل اذا كان يعرف انك تخافينه.

- كلا، لا اخافه!

وصل اندريه قريهم، وضافت عيناه السوداوان عندما سمع همساتهم
الحارة وقال ناظراً الى سوزان:

- انها فرصة سعيدة مفاجئة. هل ينقصكما شيء؟ ربما لديكما بعض
الشكاوى؟

كانت هاربيت متضايقة جداً من قصر بتطلونها، ومن لمحة السخرية
التي ارتسمت على وجه اندريه. كان يرتدي بتطلوناً من المخمل المضلع
البنّي وقميصاً من الحرير، ويبدو قاسي التعابير وبارداً، فتضايقت هاربيت
عما اعتبرته تطفلاً عليهم... هل حسبها جاءتا لتبحثا عنه؟ لو علمت انها
ستلتقي به لبقيت على مسافة بعيدة من روشفور. خطر لها انه يمكن ان
يكون وكيلاً لهذا القصر ولذلك عرف ابنه بول كل هذه التفاصيل عن
المكان، او موظفاً عند النبلاء ويدعي ملكية هذا العقار. سرحت افكارها،
هل من الممكن ان يكون مالك البيت الذي اشتريته؟ وهل صحيح ان البيت
تابع للقصر؟ وسمعت سوزان تقول له:

- اردنا مشاهدة القصر. انه في غاية الجمال، أليس كذلك؟ ما اجمل
تلك القبة الصغيرة! اهي مدخنة؟

نظر اندريه الى البناء بسرعة وقال:

- انها في الواقع قبة الجرس. من سنين طويلة وفي ايام الثورة، كانت
القرية تعاني من فقر كبير. اجدادي كانوا يقرعون الجرس وكل من يأتي لدى
سماع صوته يقدمون له صحناً من الشورية وقطعة خبز.
وتابع بسخرية:

- مع الأسف هذا لم يمنع ان تندرج رؤوسهم، ولحسن حظي،
استطاع احد اولادهم الهرب الى انكلترا.

لم تعد هاربيت تفهم كلمة واحدة مما قاله بعدما ذكر كلمة اجداده. هل
يعني هذا انه الكونت الحامي لزوشفور؟ رقت بعينها فنظر اليها بول بشيء
من السخرية وقال:

- هل دخل شيء في عينك يا آنسة انغرام؟

فزمت هاربيت شفتيها بغضب واجابت ببرود:

- كلا، لكن اشعة الشمس قوية.

كان واضحاً ان بول لم يصدقها ولكن كلماتها جذبت انتباه اندريه الذي قال:

- ربما تودان تناول العصير معي، بعد ذلك، اذا احببتنا، ياخذكما بول لتتجولا في ارجاء القصر.

اظهرت سوزان تحمساً لهذه الفكرة لكن هاربيت هزت رأسها قائلة:
- يجب ان نعود لاننا اطلنا التزهة، وقد تركت السيارة في مكان غير مناسب.

تجاهلت خيبة امل سوزان، وسألها اندريه مقطباً:
- هل اتيتنا بالسيارة؟

تنبهت هاربيت الى انه اعتقد انها جاءتنا الى هنا محمداً، فكرهته لوقاحتها، وقالت اول شيء خطر في بالها وهي تأمل الا تناقضها سوزان:
- كنا في طريقنا الى كاهورز في الواقع.
سررها على الأقل رؤية الاستغراب على وجهه لكن فرحتها لم تظل لانه اجابها:

- الا تظنين انكما سلكتما الطريق الغلط؟

فاحمرت وجنتاها عندما اعترفت بأنها غير متأكدة، وتابع قائلاً:

- كان عليكما ان تسلكا طريق بلسوربو لا طريق روشلاك.

اخفت هاربيت استياءها وقالت:

- اني اشكر لك ارشاداتك ايها السيد.

ثم حيث بول وهمت بالانصراف لكن اندريه تقدم منها قائلاً:

- يجب ان تأتيا وتتناولوا معنا الشاي في يوم من الأيام.

لكها لم تستوضح تعبير وجهه لانه كان يطبق عينيه تقريباً. وتساءلت اذا

كان يحس كم تحقره. وتابعت قائلة:

- لا اريد ان اكون متطفلة.

أكد لها انها غير متطفلة على الاطلاق، وانهم يستقبلون عدداً قليلاً من

الزوار هذه الأيام.

تساءلت هاربيت كم فهم بول من هذا الكلام ذي الحدين، وقد سررها

ان سوزان صغيرة السن ولا تفهم دقائق العبارات التي تبادلتها مع اندريه.

اما بول فكان ينظر اليهما باستغراب واهتمام.

وقالت سوزان فجأة:

- لم تشكري السيد لاروش على الاثاث الذي ارسله.

فصاح بول صيحة استهزاء وقلدها بسخرية، فنظرت اليه سوزان بدعشة وقالت:

- ما الأمر؟

فكرر بول كلمتي السيد لاروش مبدئياً حركة غير مستحبة موجهة لهاربيت، فويخته قائلة:

- ما دام والدك يوافق على ان نناديه بالسيد لاروش، فلا ارى مبرراً

لتحقيقنا لاننا نناديه بهذا الاسم. واذا كنت نموذجاً لابناء الارستقراطيين

فليتهم يتبرأون منك!

ثم امسكت بذراع سوزان وقادتها بسرعة الى المكان الذي اتنا منه.

- لحظة من فضلك...

قبضة يد اندريه وهي تمسكها من ذراعها جعلتها تقف على الرغم منها.

تركت يد سوزان فجأة واستدارت تنظر الى اندريه بوجل. لم تعرف هاربيت

من تعالج اولاً، كانت تريد ان تنزع اصابع اندريه عن ذراعها وفي الوقت

نفسه ان تواسي سوزان. ونظرت الى اندريه بغضب قبل ان تقول للفتاة:

- لا تنظري هكذا يا سوزان، فلا احد يبغني ايذاءك.

نظرت ثانية الى اندريه بصمت كأنها تتحدها، فتركت يده ذراعها. لكن

فمه اصبح خطأ واحداً، وتساءلت اذا لم تكن متفائلة اكثر مما يجب.

ارتاحت لأن بول قد اختفى، وحول اندريه نظره عن وجه هاربيت ونظر

الى الفتاة الصغيرة قائلاً بهدوء:

- اعتذر عن تصرف ابني. آسف لانه في السنوات القليلة الماضية اصبح

فظلاً. انه ليس معتاداً على الفتيات الانكليزيات المهذبات.

بللت سوزان شفيتها وقالت:

- لا بأس.

ونظرت بخجل صوب خالتها وقالت:

- هل ستأتين؟

كانت هاربيت تم بمغادرة المكان عندما تكلم اندريه للمرة الثانية:

- لحظة يا سوزان، سوف نلحق بك، انني ارجب بمحادثة خالك على

انفض رأس هاربيت فجأة واجابته:

- لا اظن يا كونت ان لدينا ما نقوله.

لكنها برغم برودة جواها خفضت نظرها اذ لم تتحمل نظرة اندريه النافية. وبحركة متضايفة اومات ثم قالت لسوزان:

- اسبقيني يا سوزان، لن اناخر سوى دقائق قليلة.

ترددت سوزان قليلاً ثم مشت على الدرب المتحدر الذي يقود الى الوادي. وبقيت هاربيت واقفة مع اندريه في ظل شجرة الطقسوس الكبيرة.

وعندما اصبحت سوزان بعيدة عن مرمى السمع، نظرت هاربيت الى طرف حدائها وهي تحفر الأرض اليابسة وقالت لاندرية:

- حسناً، ماذا تريد ان تقول؟

خيم جو من الصمت بينها كأنه اصبح وجوداً بذاته، وفي الأخير، تكلم اندريه قائلاً:

- ادرك ان الوضع صعب يا هاربيت لكن لا ينفج ان تعامليني كأبرص!

رفعت رأسها بتحد وسألت:

- لم لا وانت كذلك بالفعل؟

مرت فترة اخرى من الصمت ثم قال:

- هل تكرهيني يا هاربيت الى هذا الحد؟

كان يبدو متعجباً، وانفجر غضبها مرة اخرى فهتفت:

- ماذا كنت تنتظر؟ ان افرح لمشاهدتك؟ ان اكون قد نسيت انك حيوان

اناني؟

تقلصت عضلات وجهه عند سماعه اتهاماتها، ورأت شريان عنقه يتنفض بسرعة من خلال قميصه المفتوح على عظام صدره القوية، وجلده مسمر وملطخ بالعرق. تأثرت للمشهد، فقال لها:

- العلاقة التي كانت بيننا كانت ستنهي يوماً بمعرفتك للحقيقة.

ارتمت هاربيت ولم تستطع السيطرة على نفسها وقالت:

- اتريدني ان اكون شاكراً لك ذلك؟

التوت شفتاه. وتابع قائلاً:

- كلا. من الواضح انك لا تشعرين بالامتنان.

- هل كان هذا كل ما اردت قوله؟

- كلا!

شد على قبضته وتابع:

- من فضلك، اردت محاولة توضيح الأمر لك...

- التوضيح!

وتراجعت الى الوراء وتابعت:

- ماذا يمكن ان تفسر لي؟ خل عنك! اترك كل شيء... ودعني

لوحدي!

رفعت عينها الخاويتين لتتنظر اليه، لكن ما شاهدته في عينيه بعث

الاحمرار من عنقها الى وجهها. رأت سواد عينيه الملطخ بلون العنبر، يقول

لها انه لا يصدق كل ما شاهد وهو لا يحاول اخفاء عدم التصديق. ثم

خفض نظره الى جسمها واخذ يتأمل تقاطيعها. صدمت هاربيت وحجلت

من نظراته الجريئة، ثم اخذت نفساً طويلاً وقالت:

- لا تنظر الي هكذا!

- وكيف انظر؟

لم يكن هناك اي دفاء في صوته، واستجمعت هاربيت كل قواها

لاكمال ما ارادت ان تقوله:

- نظرتك غير لائقة.

فسألها:

- هل هذه المرة الاولى التي انظر اليك هكذا يا حبيبي؟

ويدون ان تتوقف لتفكر بالعواقب تقدمت وصدفته بشدة على وجهه

البارد المتكلم. وللحظات مخيفة تصورت انه سييادها الصفعة.

تحركت يده نحوها فجأة بعنفوية ثم اوقف ردة فعله وانكمشت اسارير

وجهه. وقال:

- هل تللذت بذلك؟ هل اصبحنا الآن متعادلين؟

اجابت بصعوبة:

- لا شيء يجعلنا متعادل. انت... انت...

واكمل عنها الكلام:

- حيوان اناني على ما اظن، الوصف اياه.

واخذ يفرك جلد خده المحمر، وقال:

- حسناً يا هاربيت، فهمت مرادك. أليست هذه العبارة المعهودة؟
تهدت هاربيت وقد نضب منها كل تهجم. نكست رأسها وهي تحس
بالفراغ وعدم الجدوى وتساءلت عن خيانة الجسم للروح. هل مستخلص
يوماً ما من هذا الرجل؟

رفعت رأسها عندما سمعت صوت قدميه يتلاشى على الدرب،
واحست بكتلة تستقر في خنجرتها عندما رآته ذاهباً. كان يفتح ازرار
قميصه ليحس بالبرودة، يحرك منكبه كأنه مثقل بالتعب.

كانت تصارع رغبتها بالركض وراه. واحست بموجة شديدة من الوهن
تسيطر على جسمها، فاغمضت عينيها من شدة احساسها بالتعاسة المؤلمة.
يا الهي، صلت بصمت، لا تدع هذا يحدث لي!

٥ - الابن سر ابيه؟

يد كأنها تريد ان تعبر عن شيء، لمست ذراعها، ففتحت عينيها
وشاهدت سوزان تقف الى جانبها وتنظر اليها بقلق، ثم همست ملتاعة:

- هاربيت؟ ما الذي يضايقك؟

نظرت هاربيت حولها ولما تأكدت انها بمفردها رفعت شعرها الى الوراء
وهزت رأسها بعنف وهي تحجب نفسها على الابتسام. تمتمت وهي شاردة
الذهن:

- انه الحمر...

نظرت اليها سوزان غير مصدقة وسالت:

- ماذا قال لك السيد لاروش؟ ان وجهك شاحب.

قالت هاربيت متضايقه:

- لنعد الى السيارة. اني بحاجة الى جرعة ماء.

فاجابت سوزان بعبوس:

- اذن لماذا رفضت دعوة السيد لاروش؟

عرفت هاربيت انه يجب عليها توضيح الأمور، فقالت وقد استطاعت
السيطرة على صوتها:

- لن نستطيع الكلام هنا. في كل حال، انه لا يدعى السيد لاروش،

بل الكونت دو روشفور، صاحب القصر!

- أحقاً ما تقولين؟

نظرت سوزان الى جدران القصر وقالت:

- يا للعجب!

ثم عبست وتابعت:

- وما الذي يدعوك وتأتاه الى تنظيف الموقد؟

اجابت هاربيت بلهجة جافة:

- تستطيعين ان تسالي هذا السؤال! هيا بنا يا سوزان، لتحرك! لن نستطيع الوقوف هنا طول النهار.

عبرنا الغدير وهاربيت تفكر. تساءلت ما عسى اندريه يقول لزوجته اذا ارتأى ابنه ان يجبرها عن الزائرتين الغريبتين؟ في كل حال، رد فعلها تجاه سخريه الصبي كانت تفوق الاساءة، وبول لم يكن مخبولاً. وقالت لنفسها بشراسة، هذه مشكلة والده، ورفضت الاعتراف بالذنب الذي كان سيسيطر عليها.

اسرعت وراء سوزان واستانها تصطك. انها لحماء، فكرت بمرارة، لتسمح لاندريه بان يتغلغل في كيانها. الم تحظ بتعاسة كافية بسسه؟ ما عساها ان تكون، هل ترضى بالألم والذل؟ كانت السيارة شديدة الحرارة، وسوزان منهمكة بفتح الشيايك بطريقة دراماتيكية. جلست هاربيت وراء المقود، وارجعت السيارة الى الورا وقادتها نحو البيت.

سالت سوزان:

- هل ستذهب الى كاهورز؟

لكن خالتها هزت رأسها وقالت بوجوم:

- نحن ذاهبتان الى البيت.

وكرست انتباهها للقيادة فقط.

وعندما وصلتا البيت، كان من المستحيل تجنب المجابهة، وباتساس من الحتمية اسرعت هاربيت بتحضير السلطة للغداء، وهي شاعرة باستياء ابنة اختها.

وقفت سوزان في المدخل ورفعت رجلها لتضع الاخرى على برواز الباب، ثم قالت بعصية:

- والان! هل ستقصين علي كل ما حدث؟

ارادت هاربيت ان تكسب وقتاً فأجابت:

- كل ماذا؟

تهددت سوزان قائلة:

- لا تحبيني هكذا. انت تعلمين ماذا اقصد. بالتحديد ما هو مقدار معرفتك بالسيدة، اقصد، الكونت؟

- لم اعرفه جيداً.

ثم رفعت بصرها وقالت:

- سوزان! لقد وجدت بعض الرشاد عندما كنت قرب الغدير هذا الصباح. هل بإمكانك احضار القليل منه؟

بدت على وجه سوزان تعابير تمرد واجابت:

- لا اعرف الرشاد من غيره من الأعشاب.

- لا بأس سأحضره بنفسى.

قطعت هاربيت المسافة الى الباب المفتوح على البهو الصغير والذي يطل على الحديقة الخلفية، وقالت:

- يجب ان نبدأ بقطع هذه الأعشاب، فاذا امطرت، سوف تبطل ثيابنا لدى السير في عمارها.

ابدت سوزان استياءها وقالت:

- اذن انت لا تريدين اجابتي.

- اوه، سوزان!

ونظرت هاربيت حولها بخيبة وارذفت:

- انت صغيرة جداً لتفهمى.

اجابت سوزان:

- لكنك تعرفينه اكثر مما تدعين، أليس كذلك؟

- لقد ... خرجت معه بضع مرات.

- متى كان هذا؟

احمر وجه هاربيت:

- منذ ثماني سنوات.

نظرت اليها سوزان بتأمل فانكشمت شفنا هاربيت وتمتمت:

- نعم ... كان رجلاً متزوجاً ...

واكملت سوزان عنها وهي تعبس:

- ولديه عائلة! هل عرفت هذا ايضاً؟

فتحت هاربيت الباب بقوة وقالت:

فتمتعت سوزان:

- ولكن هو كان يعلم.

فانتفضت هاربيت. وتابعت سوزان:

- بدأت افهم الآن.

- احقاً؟

كانت هاربيت تشك بذلك لكنها قالت:

- الآن سوف احضر الرشاد.

في اليوم التالي ذهبنا الى كاهورز، وابت هاربيت ان تفصح لماذا اختارت هذا المكان بالذات كأول زيارة تقومان بها. ولكنها صممت ان لا تدع اندريه يتصور انها ذهبتا الى القصر لأي سبب آخر كما ذكرت. كانت الطريق الى كاهورز تمر بأرض جبلية تحد وادي نهر اللوت، ووصلنا الى المدينة فجأة، الابراج والحصون ترتفع فوق النهر بروعة من العصور الوسطى، ونهر اللوت يزنر كاهورز من ثلاثة اتجاهات. حزت هاربيت انه كان بمثابة حصن طبيعي، والجهة الرابعة يحدها سور يمتد من الشرق الى الغرب. كانت تقطع النهر عدة جسور، احدها من القرن الرابع عشر يدعى جسر فالانتر ويشار اليه في دليل السياحة انه اجمل جسر في العالم، له اقواس ضخمة من الطراز الغوطي وابراج نحيلة، يشكل منظراً مهيباً. لكن هاربيت كانت قد زارت البندقية، ولا شيء في نظرها يضاهي جمال قناطر الريالتو البيضاء. اما سوزان فلم تذهب الى ايطاليا، وبالتالي لا تستطيع المقارنة. التقطت عدة صور فوتوغرافية قبل ان تستقل الى الكاتدرائية فحسدها هاربيت على سداجتها.

تناولنا طعام الغداء في مقهى رصيفي في شارع جانبي قرب النهر حيث الطاولات مظلمة بالأشجار، ومع ان هاربيت كانت متعبة، احسست باسترخاء لم تعهده منذ ايام. اكلنا خبزاً مقرماً ولحوماً باردة واحسست الشراب المثلج على انغام اوكورديون شجية تختلط بأحاديث الرواد. لم يكن احد بمجلة لاختلاء الطاولات وساعات الغداء انسابت بكسل. لاحقاً، توقفنا لابتياح بعض الاشياء التذكارية من بوليفار جامبيتا ثم عادت الى السيارة وبعدها الى البيت. تأملت سوزان اطرافها النحيلة وهي تستقل

السيارة وابسملت قائلة:

- هل تذكرين عندما ذهبت الى المتجر لتشتري الخبز؟ كنت واقفة في

الخارج فغمزني احد الشبان! ما رأيك بهذا؟

ضحكت هاربيت قائلة:

- قلت لك انها فقط مسألة وقت.

ثم سألتها هاربيت بجدية:

- ارجو الا تكوني تجاوزت بطريقة ما؟

اعترفت سوزان بصديق:

- احمرت وجتاي فحسب.

فضحكت هاربيت وهي تدير محرك السيارة.

احسنا بارتياح عندما عادت الى البيت. خرجت هاربيت من السيارة

وتحطت بنشوة بعد عناء القيادة. ترجلت سوزان وبينما هاربيت تجمع

حوائجها من مؤخرة السيارة، اخذت سوزان المفاتيح وذهبت لتفتح

الباب، ثم هتفت وهي تلتقط ظرفاً ملقى خلف الباب:

- لقد وصلتك رسالة!

تقدمت هاربيت عبر المرمر رافعة حاجبها بدهشة، فقالت سوزان:

- لا يوجد على المغلف طابع، ويوجد شيء ثقيل داخله.

احسست هاربيت بالتوتر يحيط بها ثانية فاخذت المغلف وفتحته. وجدت

ورقة في داخله ولكن ليس عليها اية كتابة. كانت الورقة تغلف مفتاحاً

سقط منها عند فتحها فأحدث صوتاً.

انحنى سوزان لتأخذ المفتاح، ونظرت اليه بدهشة ثم الى خالتها

وقالت:

- انه المفتاح المرادف لمفتاحنا... والذي كان... بحوزة الكونت.

اومأت هاربيت، ودخلت المطبخ. انه يشبهه، وافقت بحددة، وتبعها

سوزان الى الداخل بدون اي تعليق.

بعد يومين، وفيما هاربيت في الطابق العلوي توضع السريرين سمعت

اصواتاً فاقتربت من النافذة للاستقصاء. لم تستقبلاً ضيوفاً باستثناء اندريه

وابنه، ونساءت مع من كانت سوزان تتكلم.

لم يدم انتظارها طويلاً إذ سمعت صوت بول لاروش الكسول،

وضحكة سوزان المتوترة. فحزرت هاريت ان الشاب كان يمارس جاذبته على ابنة اختها السريعة التأثير.

كانت سوزان بدون شك تتمتع بهذه الفرصة لتدرب انوثتها البانعة. وبالطبع وجدت في بول نموذجاً جذاباً لتجرب رمي شباكها عليه. بول نسخة طبق الأصل عن ابيه لكنه اصغر سناً واكل خبزة. وعندما تذكرت هاريت ماذا فعل ابوه هرولت الى اسفل الدرج.

جفلت سوزان لدى ظهور حالتها. كانت تجلس على طاولة المطبخ كأنها تقلد احدي الفتيات اللواتي يعرضن آخر ابتكار لتسمير البشرة. كانت تنظر اليه جانبياً وتبرز كل ما عندها، لكن منظر بول يوحي بأنه لا يرى شيئاً جديداً. احس بول بارتياح لرؤية هاريت وعندما لاحظت الاعجاب في عينيه تنبهت لما كانت ترتديه. وخاطبها بول بتهذيب:

- صباح الخير! اني سعيد لرؤيتك ثانية.

انتصبت سوزان، وفي عينها نظرة تحد بددت نشوتها. وقالت:

- طلب مني بول ان اذهب معه لتلعب التنس، هل تمانعين يا خالتي؟ برغم تضايق هاريت من ان آل لاروش يظنون انهم يستطيعون الذهب والاياب بحرية، لم تستطع الخفاء طرافة الموقف، وكان سوزان ازادت توضيح العلاقة بينها. لم تستطع الموافقة على الطلب، فقطعت الغرفة لتعلا الابريق متعادية نظرات الفتاة المدنية نوعاً ما. سألتها:

- اين تنويان اللعب؟

وقبل ان تستطيع سوزان الاجابة، تدخل بول قائلاً وهو يعطي ظهره لسوزان:

- توجد ملاعب من الحشيش في القصر. لماذا لا تأتين انت ايضاً؟ شعرت هاريت بجاذبية نحو الصبي لانه يشبه والده كثيراً، ونظرت بشروء الى الابريق الذي فاض بالماء وانسكب بعضه على الارض. هتفت:

- اللعنة.

ثم مدت يدها الى قطعة قماش لكن بول كان اسرع منها فتناوفا قبلها ومسح بها الارض بسهولة وجدارة. وعندما لامست قطعة القماش اطراف اصابعها نظرت الى اسفل وفي اللحظة نفسها كان ينظر اليها. انزعجت من تصرفه، ليس لانه في السادسة عشرة فقط وهي تكبره بعشر سنين وانما

لكونه استطاع ان يؤثر عليها.

لم تعرف هاريت اذا كانت سوزان قد تنبهت لما حدث لكن الابريق احدث ضجيجاً عندما وضعت على فرن الغاز، ولقت نظر الفتاة التي عادت نسألها:

- حسناً، هل استطيع الذهاب؟

عضت هاريت شفيتها متحاشية النظر الى بول ثم اومأت بعدم اكتراث واجابت:

- لن استطيع منعك، اذا كان هذا ما تريد.

تهبت سوزان قائلة:

- يا آهي! انني بحاجة الى رياضة.

ونظرت الى بول الجالس على الطاولة وقالت:

- اعطني دقيقة لاحضر المصرب.

صعدت سوزان الدرج وحذاؤها يحدث صوتاً. احست هاريت بالارتباك حين وجدت نفسها وحيدة مع الصبي. ولتطرد هذا الارتباك، ادركت ان بول قد لحق بها ووقف خلفها.

- ما اجملك!

قال هذا بصوت منخفض بدون ان ينظر اليها كأنه يريد ان يوحي اليها بانها تخيلت هذه الكلمات. انما حين انتصب ونظر اليها تأكدت انها لم

تتخيل ما سمعت. اجابته بغضب:

- لا ينبغي ان تقول لي اشياء كهذه!

ثم مسحت خدها المحمر واردفت:

- انا... لا احب ذلك.

اجابها:

- مستحيل!

فردت عليه:

- انا بالفعل لا احب ذلك.

- احقاً، لماذا؟

اقترب منها ولمس يدها، وسرعان ما ابتعدت عنه. هز كتفيه بلا مبالاة.

وبرزت عضلات ذراعيه تحت قميصه القصير الكمين. كان تقريباً يوازيا طولاً، وايقنت كم هو كبير بالنسبة الى الصبيان من سنه في انكلترا. وتمتم وهو يقضم عشباً ويقترّب منها:

- احب الطريقة التي تلفظين بها اسمي يا هاريت.
ثم اضاف:

- لماذا لا تأتين معنا؟ انت تعرفين اني اتيت من اجلك!

قررت هاريت ان الموضوع تطور اكثر من اللازم، فإن تحس يتزلف الصبي واعجاب به شيء، وان تسمح بان يتماذى معها شيء آخر، مع العلم انها منعت رجالاً في ضعف عمره من التصرف على هذا النحو معها. - اعتقد انك تغوص في مياه اعظم منك عزيزي.

استعملت هاريت لهجة متعالية وارتاحت عندما لاحظت ان روعها اصاب هدفه وظهر ذلك جلياً على ملامحه. لكنها لم تررد فعله لان سوزان عادت تلك اللحظة واضطر بول ان يستدير اليها.

قالت:

- انا جاهزة.

بدا صوت سوزان فتياً وبريئاً فادركت هاريت هول الورطة التي ستزجها فيها. كيف يمكن لفتاة في عمر سوزان ان تدبر امرها مع شاب مثل بول. هو، برغم صغر سنه، صاحب خبرة؟ فضلت هاريت ان لا تتساءل عن مدى خبرته وقالت:

- الساعة الآن تناهز الحادية عشرة.

فنظر اليها بول متأملاً وتابعت هاريت:

- لقد حان وقت الغداء. ألا تظنان ان الحرارة شديدة للعب التنس الآن؟

اكفهر وجه سوزان وقالت بحرد:

- قلت ان لا مانع لديك!

- تصحيح... قلت لا استطيع ان اُمنعك.

اجابت الحالة بجفاف وقطعت مسافة الحشيش الى الباب ثم استدارت وقالت لبول بتحد:

- سألتنا من قبل اذا كنا نحتاج الى مساعدتك. الآن فرصتك، ان

الحشيش بحاجة الى قص.

صرخت سوزان لكن بول لم يسمعها لانه كان يجيب هاريت:

- اذا كنت تحتاجين الى مساعدتي فكيف أرفض؟

تمت هاريت لوانه اجابها بكلمات اكثر لباقة، وصرخت سوزان ثانية

كانها مجروحة، ثم استدارت ودخلت البيت. نظرت اليها هاريت بقلق،

وهي تتساءل ان هي اخطأت بمنع الفتاة من الذهاب معه. لكن حين

نظرت الى بول قررت ان ما فعلته هو عين الصواب. ولكن الى متى تستطيع

ابعادها عن بعضهما خصوصاً اذا أثر بول ان يستعمل سوزان كسلاح

ضدها؟ سألتها:

- ماذا استعمل لقص الحشيش،

نظرت اليه بضيق وهتفت بسخط:

- انت لا تبالي بأحد، أليست هذه الحقيقة؟

اجابها بغضب:

- كلا. سأقلم لك الحشيش، اليس كذلك؟

- لان ذلك يناسبك.

هز رأسه قائلاً:

- كلا، هذا يناسبك أنت. والان ماذا استعمل؟ لسانك؟

كتمت ابتسامتها وردت:

- هناك منجل في الكوخ وراء المنزل.

لم تعطه وقتاً لكي يجيب، ولحقت بسوزان الى الداخل. وجدت الفتاة

مستلقية على السرير في حجرة النوم مجهشة في البكاء. وقفت هاريت

مترددة على رأس الدرج، وهي تنظر الى المشهد، ثم تتهددت وتقدمت نحو

السرير.

- سوزان...

لم يجيبها احد، فجلست على حافة الفراش.

- سوزان.

لكن سوزان هربت منها وقفزت الى ناحية السرير الأخرى ثم استقرت

مرتعشة امام طاولة الزينة.

صرخت هاريت فجأة:

- سوزان، كفي عن النظر الي هكذا. انت تعلمين اني لست وحشاً
انا... فعلت ما هو مناسب.

اجابت سوزان بمرارة:

- مناسب لك! ظننت انه صغير السن بالنسبة اليك!

قالت هاريت وكأنها لا تصدق ما تسمع:

- ماذا؟ انه حقاً صغير بالنسبة الي، يا الهي، لا تصوري اني اغار
منك!

- اجل! اجل! لانك كنت تريدان ان يدعوك انت!

- هذا هراء! انا لا ارغب في لعب التنس في حر النهار! اما السباحة
فربما. ولكن ليس لعب التنس!

اجابت سوزان:

- هذا ما تقويه أنت!

- واني اقصد.

وقفت هاريت وقالت بصوت منخفض كي لا يسمعها بول من خلال
النافذة المفتوحة:

- اسمعي يا سوزان! بول لاروش صغير جداً بالنسبة اني، لكنه كبير
بالنسبة اليك!

- كلا. قال لي انه في السادسة عشرة من عمره، وانا ساصبح في الخامسة
عشرة في شهر ديسمبر (كانون الأول).

نظرت هاريت الى السماء ثم قالت:

- العمر لا يقاس بعدد السنين، يجب ان تعلمي ان الخبرة هي المقياس!

مسحت سوزان أنفها بيدها واجابت:

- وانت خبيرة في هذه الأمور كما اظن.

- اوه سوزان!

نظرت اليها هاريت ولا عون لها ولا قوة، لكن سوزان لم تكن على
استعداد للاستسلام، ومضت تتهمها قائلة:

- انت تحيين الاسترخاء طول النهار، وانا صغيرة اريد ان افعل شيئاً
مختلفاً... ولانك لم تلتق دعوة تظاهرين...

- كنت مدعوة.

قالت هاريت هذا بالرغم منها. فنظرت سوزان الى اعلى واجابت:

- ١٧٥

- اجل.

وتهدت هاريت واكملت:

- لقد دعاني بول بعد صعودك الى الغرفة.

نظرت اليها سوزان بشك وقالت:

- لا اصدقك!

هزت هاريت كتفيها كأنها متعبة وقالت:

- اسأليه اذن.

استوعبت سوزان النبا في صمت لبرهة، ثم زمتمت شفيتها وبدأت
تقول:

- ومع ذلك...

فقاطعتها خالتها:

- ومع ذلك، لا شيء يا سوزان. اسمعي، لا أرغب بمنعك من اتخاذ

اصدقاء. اذا جاء صبي او فتاة في عمرك، سأكون اول من يشجع ذلك.

- ولكن بول في عمري!

هزت هاريت رأسها وغمغمت:

- حسناً، يبدو انك لا تريدان الاصغاء الى كلامي.

واستدارت نحو الدرج، لكنها تذكرت هندامها، فذهبت الى الخزانة

وسحبت تنورة وقميصاً مناسباً. نظرت اليها سوزان وهي ترتدي ملابسها

بدون ان تتكلم. ولما حاولت هاريت للمرة الأخيرة ان تناشدها،

استدارت واتكأت على حافة النافذة تنظر بتحدٍ الى الحديقة. احست

هاريت انها هزمت فنزلت الدرج ببطء.

كان بول يلوح بالمتجول في الحديقة الخافية، وقد نزع قميصه وجلده

الأسمر دل على انه قلما يرتديه. لقد جز ما يقارب ستة أقدام مربعة.

والعرق يتصبب من وجهه.

وبالرغم منها، أئننت عليه هاريت لأنه عمل بجهد، وسارت نحو الباب

ثم سألته:

- هل تريد ان تشرب شيئاً؟

انتصب بول وابتم قائلاً:

- وهل لي ان ارفض؟

ابتمت هاريت ودخلت المطبخ. لم يكن عندهما ثلاجة ولكي تبرد الأشياء كانت تضع قناني العصير على الأرض في مكان لا تصل اليه الشمس. أخذت كوباً كأنها تزنه ثم أعادته الى مكانه إذ أحست ان بول يفضل الشرب من الزجاجاة.

اقرب منها حين عادت، فمدت له الزجاجاة وقالت:

- عندي عصير ليمون ان كنت تفضله.

لكنه هز رأسه وأخذ الزجاجاة ورفعها الى شفثيه. ابتلع نصفها بجرعة واحدة، ثم مسح فمه بيده وامتدح برودة الشراب بالفرنسية كما كان يفعل حين يكونان وحيدين. ثم سألهما:

- لماذا غيرت ثيابك، جسمك يسمح لك بارتداء ما تشائين. معظم الفتيات لا يستطعن ذلك.

- تقصد اللواتي في عمري؟

فأحرز وجهه الناضج عرفاً وقال:

- لماذا تقولين أشياء كهذه؟

ولأول مرة لاحظت انه جدّي فاستدارت ولوّحت بلراعها قائلة:

- انك تعمل جيداً، ألف شكر.

رفع كتفيه وأكمل شرايه، ثم ألقى الزجاجاة الفارغة من يده وغمغم:

- نظنين اني أمارس لعبة معينة، أليس كذلك؟

تهتت هاريت وقالت:

- أظنك تغابي. هل يعلم والدك انك هنا؟

- وهل هذا بهم؟

- اعتقد ذلك.

- لماذا؟ أأنك تعتقد ان لا يوافق؟

وتوقف قليلاً ثم تابع:

- أم انك لا تريد ان يغار؟

انحس نفسها في حلقتها وقالت بصعوبة:

- لا اعرف عما تتكلم.

- كلا؟

انتصب ثانية ونظر اليها قائلاً:

- انك تعرفين أبي، أليس كذلك؟

- لدي أعمال كثيرة تعيقني عن التبارز معك بالكلام.

ثم استدارت ودخلت البيت.

كانت تفرط البازلاء عندما ظهرت سوزان. دخلت تهرز رجلها وأبت ان

تنظر الى عيني خالتها. وسألتها بوقاحة:

- هل تمانعين اذا ذهبت وتكلمت الى بول؟

فرفعت هاريت رأسها وقالت:

- افعلي ما تشائين.

فاندفعت الفتاة الى الخارج بدون ان تزيد كلمة واحدة.

كانت الساعة تناهز الواحدة الا رباعاً حين ظهر بول في باب المطبخ

وشعره الطويل متدل على كتفيه بخصل رطبة وقال:

- الحشيش خلف البيت قد تم قصه. يلزمه الآن تنميق بالآلة، فهل

عندك واحدة؟

هزت هاريت رأسها، فقال:

- سأحضر غداً لأقص عشب الحديقة الامامية اذا أردت.

- اوه بول!

تركت هاريت عملها وقالت بنظرة مشفقة:

- لا بد انك مرهق.

ثم نظرت الى خلف وأكملت:

- هل انت...؟ حسناً، هل ترغب في البقاء لتناول طعام الغداء معنا؟

تضابقت من نظرتة المركزة لكنها حافظت على هدوئها. أجابها:

- من الأفضل ان أعود فلوريز تتساءل حتماً أين أنا.

هذا الاسم ثانية!

- هل تريد ان أعود غداً؟

- من المحتمل ان لا نكون هنا غداً. كنا نفكر بالذهاب الى بيتناك.

- بيتناك.

أوماً مفكراً ثم قال:

- حسناً، لا يهم ان تكونا هنا.

تلملت هاريت في جلستها وقالت بارتباك:

- أحس انه يجب علي ان ادفع لك أتعابك...

فغير الموضوع بقوله:

- قالت سوزان انك تحمين السباحة. تعالي لنسبح معاً بعد غد.

- بول...

- بإمكان سوزان ايضاً ان تأتي معنا.

نظرت اليه هاريت بتعاسة وسألته:

- أين يمكن ان نسبح؟

في النهر، اعرف مكاناً حيث الماء عميق والأشجار مظلمة.

فأجابت باستياء:

- ذهبت الى هناك مرات عديدة على ما أظن؟

فابتسم بول وقال برجاء:

- قول لي ~~أين~~ ستأخذ:

- سأفكر في الأمر.

أخذ قميصه وارتداه.

- سأحضر بعد غد في حوالي الحادية عشرة.

توقف ثم تابع:

- وغداً ايضاً ان كتبنا هنا أم لا.

أمطرت في اليوم التالي. لم يكن شتاء ضعيفاً مثل ما يتوقع في انكلترا،

أما شتاء كثيفاً ومركزاً بدا كستار رمادي حول البيت، ففرقت الأشجار

والعشب، ولم تعد فكرة السباحة واردة.

انزعجت هاريت لأنها أملت ان ترطب هذه الرحلة الجو بينها وبين

سوزان، فالعلاقة بينها كهجنة حارب. أمضت سوزان النهار مسترخية

تقرأ. أما هاريت فأخذت تقوم بتجارب في المطبخ حيث خبزت كعكاً جميل

المظهر لذيد الطعم. لكن لم تعمل من قلبها، إذ بدا لها انها تتصرف كوالدة

سوزان لا كخالتها.

لحسن الحظ أشرق الطقس صباح اليوم التالي وكانت هاريت في رداء

النوم حين سمعت الباب يقرع.

نظرت من النافذة قبل ان تفتحه واذا بها ترى بول واقفاً في الخارج.

فتحت الباب وبادرت قائلة:

- بكرت في المجيء.

أبد كلامها محياً ببساطة:

- اردت ان انتهي من قص الحشيش باكراً، نحن على موعد في الحادية

عشرة.

نظرت اليه باستسلام وقالت:

- حسناً، لكن لا تتصور ان تصبح هذه عادة. سأتي معك هذه المرة

أثماً...

تهبت بأذعان وأصافت:

- تعلم أين نجد المنجل.

أخذ بول يشم الرائحة اللذيذة المنبعثة من المطبخ وسألها:

- ألا تقدمين لي فنجاناً من القهوة؟

لكنها هزت رأسها وأقفلت الباب في وجهه.

هبطت سوزان الدرج وعيناها ترفان. لا بد انها سمعت أصواتاً،

واحتملت عناء ارتداء بتظلون جيتز وقميص. نظرت حولها باستغراب

عندما رأت خالتها لوحدها، فقالت هاريت:

- بول هنا وسيقطع الحشائش في الحديقة الامامية.

سارت سوزان الى النافذة ونظرت الى الخارج.

- أين هو؟

أجابت هاريت وهي تسكب فنجاناً من القهوة:

- أظنه يأتي بالمنجل.

تريست ثم قالت:

- هل تريدان ان نذهبي للسباحة في وقت لاحق؟

استدارت سوزان وسألتهما:

- سباحة؟ أين؟

تناولت هاريت فنجان القهوة ونظرت اليه لتتفادى النظر الى الفتاة

وردت:

- يقول بول انه يعرف مكاناً دعانا اليه معاً.

هتفت سوزان بتحد:

- أحقاً؟

اضطربت هاربيت الى مواجهتها وردت بالايجاب. فحدقت سوزان اليها وسألها بتمرد:

- وماذا لو قلت انني لا أربغ في الذهاب؟

انقبضت اصابع هاربيت على الفنجان وهي تسأل:

- ألا ترغين بالسباحة؟

- كلا. كلا لا أريد.

هبط قلب هاربيت وتأوهت بعتاب:

- أوه، سوزان!

فردت الفتاة:

- ماذا ستفعلن الآن؟ هل ستذهبن بدوني؟

- كفى يا سوزان. لن أسمح بذلك!

- ماذا ستفعلن؟ لا تستطيعين ارغامي على الذهاب. بالاضافة الى ذلك...

- بالاضافة الى ماذا؟

- انا لا اعرف السباحة.

فشهقت هاربيت باستغراب وقالت:

- لا... محسنين... السباحة؟

- كلا لم احسنها ابداً.

- أم يعلموك ايها في المدرسة؟

- حاولوا انما بدون جدوى. ربما انا من هؤلاء الذين لا يستطيعون تعلمها.

- هراء! كل انسان يستطيع ان يسبح اذا حاول.

وضعت هاربيت فنجان القهوة وعبرت الغرفة مضطربة ثم استدارت قائلة:

- سوزان، تعرفين انني لا أريد الذهاب معه بمفردتي.

فهزت سوزان كتفيها بانزعاج وقالت:

- هذه ليست مشكلتي.

تمالكت هاربيت أعصابها كي لا تصفمها، وفي الوقت نفسه أعجبت بها لانها استغلت الموقف بنجاح. قررت هاربيت ان لا جدوى من مناشدتها لتغير رأيها. فغسلت وجهها وأسنانها فوق المجل، ثم ركضت الى فوق لترتدي ثيابها. كان عليها ان تجد حلاً للخروج من هذا المازق انما لم تعرف في هذه اللحظة كيف يجب ان تتصرف.

تراجعت هاربيت نحو البيت وقد ندمت على دعوتها له . دخل وهو يزيح شعره المبلل عن جبينه ، فتناولت علبة من الزاوية ، ولما وجدت انها تحتوي عصير ليمون تناولتها لكنها سقطت من يدها فشممت بصوت منخفض وهي تلتقطها ثانية . راح بول ينظر الى هذا المشهد باهتمام ، واقترب منها وهي تهتم بفتح العلبة ، قائلاً :

- دعيني اقوم بذلك .

لكنها رفضت طلبه وشدت بعنف على حلقة العلبة فافتلت من يدها وطرطش العصير الذي بداخلها صدر بول .

فشقق واضعاً يديه على صدره ، وزال التوتر حين انفجرت ضاحكة ، وظلت تضحك حتى دامت عينها ، فخطف بول العلبة من يدها وتقدم يهدد بصب ما تبقى فيها فوق رأسها . اخذت تتراجع وهي ما زالت تضحك ثم احست ان شيئاً ما يجذب النور عن الباب . التفتت الى الباب وهي تحس بالانقباض المعهود الذي يتأبها كلما رأت اندريه . التغير في ملامح وجهها انبأ بول ، فنظر حوله ، وصاح صيحة تعجب وتوقف عن اللعب واضعاً العلبة على الطاولة واستدار ليواجه أباه .

انتصب اندريه من اتكائه على حاجب الباب ، وتساءلت هاربيت منذ متى وهو يراقبها . ثم دخل الغرفة وتعجبت حين رأت سوزان خلفه . قال يسأل ابنه :

- ماذا تفعل هنا يا بول ؟

تكلم بالانكليزية لفهمه سوزان ، واردف :

- فهمت من لويز انك تقوم بعمل مؤقت .

- اجل .

وضع بول اصابعه داخل حزام بنطلونه ، وشعرت هاربيت بلهجته العدائية ، فتدخلت قائلة :

- ابنك كان بغاية اللطف اذ قصّ العشب في الحديقة الامامية والخلفية .

قطب اندريه حاجبيه قائلاً :

- هكذا اذن .

اتخذ الشاب موقفاً مهاجماً ، ونظره يرفّ بغضب في اتجاه الفتاة الواقعة خلف والده وسأله قائلاً :

٦- نزوة مراهق

لما عادت هاربيت الى الطابق السفلي وجدت الباب مفتوحاً وسوزان قد اختفت ، فحزرت انها ذهبت لتكلم الى بول . ابتلعت قهوتها الباردة ووضعت الفنجان في المغسلة . نظرت الى ساعتها ، انها التاسعة ! لديها ساعتان لتجد عذراً لعدم مرافقته .

كان الصباح جميلاً للبقاء في الداخل ، فخرجت وهي تأخذ نفساً عميقاً ، وتتلذذ برائحة زهور اليموزا النامية بوفرة تحت النوافذ . رأت بول على مبعده يطرح المنجل بانتظام وهو يقطع الأشواك المشابكة والأعشاب المرتفعة تحت السياج ، انما لم تراثراً لسوزان .

وكالمعتاد انتصب بول واقفاً لدى رؤيتها وقال :

- ساعة اخرى وأنتهي من المهمة .

اومأت هاربيت وهي تتطلع حولها قلقة وسألته :

- هل رأيت سوزان ؟

- اجل . طلبت الي ان ابغلك انها ذهبت للتنزه .

احست هاربيت برعشة وفقدان صبر . هكذا اذن ؟ حسناً ، ستعرف كيف تجارباها في هذه اللعبة !

رأت بول يتابع النظر اليها ، فاندفعت تقول :

- هل تريد بعض العصير الآن ؟

صوب المنجل الى الارض المكسوة بالعشب فسقط من يده على التراب وبرز كأنه علامة استفهام كبيرة . ثم مسح الشاب يديه على بنطلونه وعبر فسحة الحشيش باتجاهها .

- هل اخبرك احدهم عكس ذلك؟

ارتجف فم سوزان لكنها لم تقل شيئاً. وفهمت هاريت بخوف ان بول قد اصاب الحقيقة، فقالت للفتاة بخفية:

- اوه سوزان! لا يعقل ان تفعل ذلك!

لكنها فهمت من وجه سوزان المحمر انها المذنبه. كبح اندريه جراح غضبه وقال بهدوء:

- أنت ابنة اختك لتقول لي ان ابني هنا.

وتساءلت هاريت كم اختصر من ثيمة سوزان. وتابع اندريه قائلاً لابنه:

- بول، جدتك تنتظر لتصطحبها في نزعة. ربما الأنسة انغرام تسمح لك بانهاء قص العشب في يوم آخر.

ارتبكت هاريت وقالت:

- لم اعرف هذا. كان عليك يا بول ان تخبرني!

فسأها بول بغضب:

- وهل تصدقين هذا الزعم؟

لكن والده وضع يده على كتفه فحاول بول نزعها متمماً:

- حسناً، حسناً، انا ذاهب!

عمر بول هاريت ثم نظر الى سوزان نظرة قاتلة، وخرج من المطبخ وخطف قميصه وهو يمر بالدرب. لاحقته سوزان بنظرها وشفتاها ترتجفان. لكن هاريت لم تشعر بالشفقة نحوها، فهي ذهبت الى القصر واحضرت اندريه لتمنعها من الذهاب الى السباحة، وفي هذا التصرف نوع من الحقد. قالت لها:

- من الأفضل يا سوزان ان تصعدي الى غرفتك.

وركضت سوزان وهي تشهق واغلقت الباب خلفها بعنف.

يفتت هاريت لوحدها مع اندريه ونظرت اليه بعدم ارتياح متسائلة لماذا بقي، وان كان يتوقع منها اعتذاراً ما... كان يرتدي بنطلوناً يشبه بنطلون ابته انما بدل القميص... يلبس صدرية بدون اكمام تظهر عضلاته القوية. كان يقوم ببعض الاعمال، والبقع على وجهه ويديه تدل على ذلك.

لم يقم بأية حركة تنبئ بانه ينوي الذهاب. اخذت هاريت نفساً عميقاً

ثم قالت:

- اعتذر ان كان بول يهمل عائلته . هل انت . . .

ولم تكمل اذ انفجر اندريه يهتف حائفاً:

- ماذا تحاولين ان تفعلي بي يا هاريت؟ لقد أتيت هنا وسكنت في بيتي!

هل تتوقعين مني ان أتجاهل وجودك كما لو كنت غريبة؟ هل تظنين انني مصنوع من الخشب؟

هجومه كان غير متوقع ، ولم تكن هاريت مستعدة له! فاحتجبت قائلة:

- انا ما دعوتك الى المجيء هنا!

لكن اندريه لم يستمع لكلامها . كانت عيناه تلتهمانها وتشعلان الاحمرار

في وجنتيها وتهزان كيانها . وحين خفض نظره استدارت فجأة لأنها لم تحتمل

تأثيره عليها . وقالت بصوت خافت:

- من الأفضل ان تذهب .

- لماذا؟

احسته يقترب منها ويقف وراءها ، وتابع يقول:

- ان كنت ترحبين بابي هنا فلماذا لا ترحبين بي؟

- كلا . . .

مات احتجاجها المفاجيء حين لمسها . الحائط كان خلفها ولما حاولت

الابتعاد عنه ، التصقت بالطلاء الجديد . احست بالبرودة تسري في جسمها

الحار العارق من الحلوف .

وفجأة استعادت رشدها حين سمعت صوت خطى سوزان نحو

الطابق العلوي .

وتساءلت برعب ، ألم تتعذب بما فيه الكفاية على يد هذا الرجل؟ هل

فقدت رشدها لتسمح له بأن يقترب منها الى هذا الحد؟ ثم ان سوزان قد

تهبط الى المطبخ في أي لحظة . . . قالت بصوت خافت:

- كلا ، كلا!

اضافت وهي تحاول اخفاء الرجفة في صوتها ، وقد ادركت مبلغ سيطرته

عليها:

- ارجوك ، اريدك ان تذهب الآن .

فأجابها بنظرة ساخرة:

- لماذا؟ لقد فات الوقت ولا يمكنك التظاهر الآن بانك لا تبادليني الرغبة نفسها.

- اخرج من هنا!

لم يتحرك ليخرج انما انتصب قليلاً وفرك شعر صدره الأجدد الداكن وقال:

- فاصل شيق، مع انه غير مرض . ماذا كنت تنتظرين مني يا هاربيت، أخبريني؟ كان يجب ان تعرفي منذ البداية اني لست رجلاً مهذباً. . . أليس كذلك؟

- نعم، نعم، كان عليّ ان أعلم .
وأكملت بجملة:

- اوه، ارجوك ان تذهب .

- وهكذا تعزّين نفسك لأنك لم تضعفي هذه المرة؟

تقدم نحوها فتراجعت الى الورااء خائفة، قال:

- استرخي يا هاربيت! لقد تلقّيت الدرس الكافي لهذا اليوم . لا تقولي أبداً ان احداً من آل لاروش لا يعرف مني يجب ان يستسلم، لكن لا تصوري انه بإمكانك ان تلعي هذه الالاعيب معي .
لقد أفلتت هذه المرة فقط لأنني سمحت لك بذلك!
ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت:

- انا . . . انا لا افهم كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه الطريقة! انا . . .
وبللت شفتيها الناشفتين:

- لا اريد رؤيتك بعد الآن، هل تفهم؟

عيناه اسودتا غضباً واجاب:

- انت حمقاء يا هاربيت.

لم يقل كلمة ثانية ثم استدار وغادر البيت.

بعد ذهابه، تحركت هاربيت على ساقين بدنا عاجزتين عن حملها . لم تواجه موقفاً كهذا ابداً، وحاولت نسيانه فلم تستطع . هل جلبت كل هذا لنفسها؟ هل اشعلت تصرفها الأحاسيس القديمة التي كانت بينها؟
حركة على الدرج اعادت اليها رشدها فرأت سوزان تتربص خلف الباب المشقوق . طغى الغضب على أحاسيسها لأن الفتاة كانت مسؤولة

عما حدث . لكن هل تستطيع ان تلوم سوزان؟ كيف تلوم احداً سوى نفسها؟ وقالت بعصية:

- ادخلي! هيا، ادخلي!

فدخلت سوزان المطبخ وعيناها الحمراءوان تشهدان على التعاسة التي تشعر بها . قالت بصوت متهدج وهي تحاول الكلام بوضوح:

- هاربيت! انا . . . اعتذر .

تساءلت هاربيت عما تعتذرا هل لأنها جاءت باندرية الى هنا؟ ام تعتذر عن الحادثة التي جرت عند قدميه؟

حاولت ان تتصرف بشكل طبيعي، رفعت يديها لتلمس شعرها الحريري وقالت بسرعة:

- يجب ان تكوني نادمة، لكن ما حدث قد حدث، واسترحت على الأقل من مشوار السباحة .

تلكتأت سوزان عند باب الدرج وسألت:

- هل اردت الذهاب فعلاً؟

تهتدت هاربيت قائلة:

- اظن يا سوزان اننا انتهينا من هذا الموضوع، ومن الأفضل ان نقوم باعمال الحديقة .

اليس كذلك؟

اخذت هاربيت تضرب المنجل . وافادها هذا العلاج، فيها راحت سوزان تجمع العشب وتكومه في مؤخرة الحديقة . ثم ارهقها العمل فتوقفنا

من شدة الحر وراحنا نستحمان في الجدول وتستمتعان بالماء البارد العذب ينساب على جسميهما . كان صباحاً طويلاً وستعقبه نهاية نهار أطول .

وعند المساء، بينما هما تستعدان للنوم، قالت سوزان:

- هناك كدمة على ذراعك .

فارتدت هاربيت قميصها بسرعة لأنها تعلم بوجود رضوض عديدة على جسمها ولم تشأ ان توضح لسوزان سببها .

كان محكناً في الأيام المقبلة ان توهم نفسها بأن الاسوأ قد ولى بعدما حصلت المواجهة التي توقعتها منذ اللحظة الاولى التي شاهدت فيها

اندرية، وصار عليها الآن ان تتابع حياتها وتتناسى كل من يمت بصلة الى

عائلة لاروش، لكن في اوقات الفراغ كانت هذه الافكار تعاودها ولم تستطع كتبها، واصبح النوم مهمة اكثر منه ضرورة.

أبدت سوزان استعداداً لتخفف عنها. كان واضحاً انها نادمة على ما فعلت، ومع انها لم تدرك انها هيبت الأفعى في وكرها احست ان الواقعة التي حركتها قد احدثت مضاعفات لم تدرك عواقبها. وتساءلت هاريت اكثر من مرة، هل علمت سوزان ماذا كان يجري في الطابق السفلي، ام تصورت انها كانا يتشاجران؟ تحنت بمرارة لو انها تشاجرتا طوال الوقت كي يسهل عليها النسيان.

لقد أتتا الى الدوردون لتشاهدا المنطقة وصممت هاريت على ان تفعلا ذلك فزارتا قصر روكامادور الذي يقف برشاقة فوق وادي الالزو وسارلات بجدران الصفره وقرميد الأبيض، وزارتا بريجو، عاصمة البريجور، وكاتدرائيتها ذات القباب وأبنتها القديمة الجميلة. واخيراً برجوراك حيث قامتا بزيارة الى كروم العنب. أجمل نزهة تذكرها هاريت، كانت الى مغاور بشميرل، حيث دهاليز الكهف تهبط الى اكثر من ميلين نحو الوادي السحيق وتتحول الى غرف. كانت حلم علماء الكهوف لأنها تحتوي على رسوم لحيوانات كانت تجوب الأرض منذ اربعين ألف سنة. شاهدتا كذلك آثار اقدام متجمدة لانسان ما قبل التاريخ، محفوظة الى الأبد في طين كربوني مترسب. وحين خرجت هاريت من المغارة، غمرتها نشوة واحساس بخلود الانسان. لو استطاع المرء ان يطبق الدروس على حياته الخاصة لأدرك سخافة مشاكل الانسان بالمقارنة مع هذا المقياس التاريخي الطويل.

بعد انقضاء اسبوع على اللقاء الرهيب مع اندريه ذهب هاريت تشتري بعض الأغراض في روشلاك فأوشكت ان تصطدم ببول. كانت خارجة من دكان الحلويات والشمس في وجهها، فأخذت تبحث عن نظاراتها عندما ظهرت قائمة طويلة امامها. بدأت تعتذر لكنه بادرها قائلاً:

- مرحباً هاريت.

- بول!

دفعت بنظاراتها على أنفها، ونظرت اليه بدهشة:

- بول!

حست بعدم الارتياح وقالت:

- انها لمفاجأة.

- حقاً؟

نظر حوله ثم سألتها:

- هل انت وحدك؟

نقلت سألها الى ذراعها الاخرى واجابته:

- اجل، سوزان تأخذ حمام شمس فالطقس في غاية الجمال.

- اجل.

ادخل ابهامه في جيب بنطلونه الخلفي وبدأ مكتفياً بأن يقف معها وينظر اليها بينما يشاهده نصف سكان روشلاك الحائمين حولها باهتمام. وفكرت هاريت بانزعاج، هؤلاء الناس يعرفون من هو... ثم أرغمت نفسها على الابتسام قائلة:

- حسناً، سررت لمشاهدتك ثانية يا بول...

- هيا، تعالي نتناول كوباً من العصير او فنجاناً من القهوة ان كنت

تفضلين.

هزت رأسها قائلة:

- كلا لا اظن...

- لم لا؟ تذكر انك مدينة لي بشيء.

تحركت هاريت بضيق وقالت:

- بول، انت تعلم انها فكرة غير لائقة.

- أبسبب والدي؟ أنا اعلم لأنه اخبرني.

انذهلت هاريت وقالت:

- ماذا أخبرك؟

- اخبرني انكما تعرفان بعضكما منذ سنين عديدة! وانك لا تحبينه.

يا أمي! احست هاريت بالضعف. أهذا ما قاله أندريه لابنته؟ أهذا ما

قاله لزوجته؟

- اذن...

بدأت بالكلام لكن بول قاطعها ثانية:

- والدي ليس هنا، ولا موجب لأن يعلم وان علم...

ويسط يديه دلالة على اللامبالاة.

ترددت هاربيت وقالت:

- بول، انني متأكدة ان هناك فتاة اخرى تتوق لكم، تدعوها...

فأجاب بحنق:

- كسوزان مثلاً؟

تهددت وردت:

- حسناً، حسناً، سأتناول فنجاناً من القهوة معك.

اختفى التوتر من صوته، وسار معها الى حيث مقهى السيد ماكون الذي

بادرها قائلاً:

- كيف حالك؟

لم تستطع هاربيت اخفاء ابتسامة اسي وقالت بجفاف:

- استطيع القول انني لست بحال احسن لأنني رأيتك.

وعندما أحست انها جرحت شعوره صححت ما قالت:

- كلا. انا على ما يرام. كيف حالك انت؟

كانت الطاوات متشرة تحت الشمس، فاختار بول احدها، وطلب

من احدى المضيفات ان تأتيها بقهوة فنظرت الى هاربيت باعجاب قبل ان

تذهب. وسألته هاربيت بمكر وهي تسند مرفقيها على الطاولة:

- هل تعرفها؟

نظر اليها بارتباك ثم اجاب وهو يجعد انفه باحتقار:

- ليز؟ انها فارغة الرأس... اما انت...

قاطعت هاربيت قائلة:

- انسي الآن، هل اصطحبت جدتك الكبيرة في نزهة؟

اجاب بحنان:

- لويز؟ اجل اخذتها.

لم تستطع هاربيت منع نفسها من سؤاله:

- لويز؟ أهذا اسم جدتك؟

لوما بول:

- لويز ماري تيريز لاروش. انها جدة والدي.

- فهمت.

- هل ترغين في لقاتها؟

- كلا.

وهزت رأسها بسرعة. كان هذا آخر شيء تريده، وتابعت متلعثمة:

- أقصد... لم احلم ب... ب...

- ... ان تزوري بيت أبي.

تهددت هاربيت:

- شيء كهذا. حسناً، لقد جاءت القهوة. يا لرائحتها الزكية.

قدم المضيقة منحها فترة استراحة من اسئلة بول الثاقبة. وافتعلت

هاربيت اهتماماً بالغاً بفنجان القهوة، لكنه عاد الى الحديث فجأة:

- قال والدي انك تعيشين في لندن.

فاضطرت ان تنظر اليه:

- حقاً؟ نعم انني أقيم هناك.

وضع بول يديه على الطاولة وتابع:

- أظن انك تصادفين اشخاصاً شيقين في سياق عملك؟

- بعضهم.

أحست انها اصبحت على ارض متيئة وسألته:

- هل تهتم بالتحف القديمة؟

هز بول رأسه قائلاً:

- كلا! لكنني أحب العيش في لندن.

نظرت ثانية الى فنجان القهوة وقالت بحزم:

- ثق انك لن تحب ذلك.

- كيف يمكنك التكهن بهذا؟ ان لندن هي المكان الذي يجب ان يذهب

اليه كل شخص يسعى الى الشهرة.

- الناس المجهولون في لندن اكثر بكثير من المشاهير.

- ربما ليس لديهم طموح.

- وأنت؟

فاوماً بحرارة وقال:

- بالطبع أنا طموح.

اجابته هاربيت عابسة:

- وماذا ستفعل في لندن؟

- ساجد عملاً. سأعزف على الغيتار.

- فهمت. أنت تعزف على الغيتار، اذن دعني أقول يا بول انه يوجد

مئات من الشبان مثلك في لندن...

- هذا ما يقوله لي والدي، لكنه لا يعلم اني أجيد العزف عليه. اعرف

انني جيد. ليتني استطع الذهاب الى لندن، واحظى بعمل في فرقة

موسيقية...

- لماذا لا تفعل ذلك في باريس؟

- لأنني اريد الذهاب الى لندن.

انتهت هاريت من احتساء القهوة وقالت:

- يجب ان انصرف الآن.

اخذت حقيبتها من السلّة، لكنه تدخل عندما رآها تفعل ذلك وقال:

- أنا سأسدد الحساب.

فلم تعترض هاريت.

كانت الساحة الصغيرة مزدحمة اكثر من المعتاد، وأوضحت انها تركت

السيارة في خارج القرية.

- اشكرك يا بول على ضيافتك.

الا انه لم يستأذن بالانصراف وقال باصرار:

- سأتمشى معك.

واضطرت الى القبول. كانت الشمس حارة جداً وما لبثت ثيابها ان

التصفت بجسمها. لكنها لم تنهمل في السير اذ أرادت ان تفهم الشاب انها

لا تنوي ان تتأخر. تساءلت عن ردة فعل تشارلز لورآها الآن وهي تمشي في

روشلاك مع ابن اندريه.

وحالما وصلت السيارة فتحت الباب والقت بالسلة على المقعد الخلفي.

وقف بول ينظر ويده في جيبيه. ابتسمت هاريت وهي تفتح الباب الامامي

وقالت:

- حسناً... الآن استودعك الله.

ادار بول وجهه للشمس قائلاً:

- الحر شديد للغاية.

- اجل.

- والذي يعمل، لماذا لا تأتيين الى البيت للقاء لويز؟

انقبض قلب هاريت ورددت:

- لا استطع ذلك.

- لن تري ابي، اعدك بذلك، انهم يقطفون الثمار وسوف يغيب طول

النهار.

فقالت وقد وجدت مبرراً للخلاص منه:

- ولماذا لا تعاونه؟

قطب الشاب وردّ بامتعاض:

- هذا يوم راحتي، والعمل في الحقول يؤذي يدي.

صعدت الى السيارة بتصميم وقالت:

- أسفة يا بول انما يجب ان اعود خشية ان تفلق سوزان.

اغلقت الباب وراءها، وانزلت الزجاج برغم جو السيارة الخانق

وقالت:

- الى اللقاء.

ابتعد بول قليلاً ورفع يده لتجنبها، فانطلقت بشعور من الهرب لكنها

شاهدت وجه الصبي الخائر في المرأة، فخالجها احساس مزعج بأن هذه لن

تكون المرة الاخيرة التي ستراه فيها.

غمرتها الحيرة وهي تقود السيارة وفكرت بالشاب.

لم يذكر والدته، ولا امكانية وجود اخوة او اخوات. جدته الكبرى هي

الشخص الوحيد الذي ذكره عدا والده ولا بد انها في سن متقدمة جداً، في

الثمانين على الأقل، وتبدو كأنها ذات أهمية في العائلة. بالطبع، العائلات

الفرنسية تختلف عن العائلات الانكليزية، فهنا ينظر الى المسنين باحترام

وهوقار، وتطلب أرلهم وتعتبر قيمة. للخبرة معنى هنا، ربما لذلك احب

بول جدته الكبرى واحترامها، لكن ماذا عن والدته؟ وهل لاندريه امرأة

اخرى؟ ففي هذه البلاد من الطبيعي ايضاً ان تكون للرجل امرأة اخرى.

وهنا انتقدت هاريت نفسها بألم واضطرت الى الاعتراف بأنها فضولية.

لم تجد اثراً لسوزان عندما قادت سيارتها على درب البيت واحست

برعشة خوف. لقد نغيبت اكثر من ساعة وبالتأكيد لم يحصل شيء في اثناء

غياها. . . كان من عادة سوزان ان تخرج لملاقاتها ولم تفعل هذه المرة.
اوقفت السيارة، وخرجت بسرعة دون ان تأخذ السلة من المقعد
الخلفي، ومشت بسرعة على المر ودخلت البيت وهي تنادي:

- سوزان. . . سوزان. ابن انت؟

لقد شاهدت بقعاً مخيفة على ارض المطبخ وتحملت انها من الدم ثم
سمعت انيناً صادراً من الصالون. ذهبت لتستخير الامر وساقاها ترخفان.
توقفت عند باب البهو الصغير وشهقت بحوف. كانت سوزان مستلقية على
الأريكة شاحبة الوجه والدم ينز من ربطة تحت ركبتيها. صرخت هاريت:

سوزان!

وشعرت بغثيان من منظر الدم.

- يا الهي!

أحست بخور في ساقها فانكأت على حاجب الباب. وللمحظات قصيرة
شعرت ان الغرفة تدور حولها من تأثير الصدمة والحر الشديد. وهتفت
سوزان متحبة:

- هاريت. . . كم انا سعيدة لأنك عدت. . . كنت خائفة جداً.

فاندفعت نحو سوزان لتقدم لها العون بقدر المستطاع وعيناها تنظران الى
الجرح لترى مدى خطورته. كيف حصل هذا؟ من اليديهي ان سوزان
جرحت رجلها ولكن أين؟ وبماذا؟ وبدا ان سوزان لن تتوقف عن البكاء
ابداً، فهتفت حالتها اخيراً:

- خبيتي، هيا، اخبريني ماذا جرى؟

شهقت الفتاة فتناولتها هاريت مندبلاً وأيقنت انه من اللازم الاسراع
باتخاذ اجراء ما لأنها كانت تنزف كثيراً. وقالت سوزان بغزع:

- انه المنجل. . . كنت احاول قطع ما تبقى من العشب. . . اخشيش

الذي لم يكمل بول قصه.

أحست هاريت بموجة من الملح تسطر عليها وصرخت:

- المنجل!

ان مطلق حادث يمكن ان يكون خطيراً وهما على بعد اميال من اي
مستشفى، ولا تعلم ان كان هناك بالجوار طبيب. يجب ان تتصرف بسرعة
ولكن كيف؟ قالت لنفسها، اسرعي في التفكير، وتصرفي بهدوء. لا تدعي

سوزان ترى انك تفقدين رباطة جأشك.

ركعت على الارض وهي تبسم لسوزان مشجعة، ثم نزعرت الرباط

برفق لتكشف الجرح، ووجدته اسوأ مما تصورت، اذ يبلغ طوله بضع

بوصات ويلزمه تقطيب، ولم تستبعد خطر الالتهاب لان المنجل ملوث.

- يجب ان أضع عصية حول ساقك لايقاف النزيف.

قالت هذا بصوت عادي، ثم اضافت:

- يجب ان نذهب الى الطبيب.

كانت تحاول ان تظهر براعة فيما تفعل وتوحي بالاطمئنان للفتاة. لم تكن

تخاف منظر الدم، لكنها لم ترف في حياتها جرحاً كبيراً ونزيفاً شديداً كهذا ولم

تكن لديها خبرة بمثل هذه الامور. ليس في البيت خزانة أدوية، وكل ما

لديها بضع حبات من الاسبرين ولا شيء آخر يساعد على تخفيف الام

سوزان. كانت سوزان تتق بما فعله خالتها وهي تتكلم بلطف اما بقلة

معرفة بالعصية الضاغطة التي تقطع النزيف. تذكرت انها قرأت في مكان

ما ان قطع الدم ممكن ولكن لوقت محدد والا اصيب العضو بالغربان.

ارتعشت هذه الفكرة المرعبة. اذا خسرت سوزان ساقها من جراء ذلك

فسوف تلوم نفسها الى الابد. لقد عصبت ساقها بجورب من النايلون

وشدته حتى انقطع النزيف. لكن وجه سوزان كان شاحباً جداً.

قالت الفتاة بارتعاد:

- أسفة لأنني لطخت الأريكة.

لكن هاريت طمأنتها قائلة:

- لا تهتمي للمقعد، يجب ان احملك الآن الى السيارة.

- الى اين ستذهب؟

- لنجد طبيباً.

لكن الفكرة مشكوك فيها ومع ذلك يجب ان يكون هناك طبيب في

روشلاك.

بالرغم من نحوها كانت سوزان ثقيلة الوزن على هاريت وبعد عدة

محاولات فاشلة ومؤلمة قالت سوزان بشيء من الواقعية:

- يجب ان امشي.

لكن حين حاولت النهوض فقدت وعيها تقريباً فقالت لها خالتها:

- ابقى حيث انت .
تطلعت اليها سوزان بلهفة فتفتت بعمق و اردفت :
- ساذب . . . لاني بشخص يساعدنا .
استلقت الفتاة على الوسائد وسالتها :
- بمن ستأين ؟
فردت بصوت فاتر وقد غلبت على امرها .
- ساتي بيول .

٧- انتظار في المستشفى

كان المشوار الى القصر كالكابوس . لم تذهب اليه من البيت من قبل
فعلقت في الشوك والنباتات الزاحفة واضطرت الى تغيير طريقها وسلوك
الطريق المحاذي للقدير . ربما كان الأمر سهلاً لو لم تكن يائسة ، لكن السير
استغرق وقتاً طويلاً ، ومعرفتها الضئيلة بجغرافية المكان لا تتيح لها اخضاع
مزيد من الوقت .

لما وصلت الجسر الذي يمر فوق الجدول تحسنت الدرب . كانت تحس
الحر وتصب عرقاً ، ويدها متسختان ومخدوشتان من مصارعة الاشواك .
أزاحت شعرها الى الوراء واستمرت في السير مع انها تاقث الى تغطيس
وجهها في الماء البارد . بعد تسلق آخر وصلت المضية الموازية لأسوار
القصر . استجمعت قواها ، وسلكت الدرب الممتد الى الجهة الامامية من
البناء . هل تجد بول في البيت ؟ لقد تركته منذ ساعة تقريباً في روشلاك ،
فهل عاد الى البيت ، واذا لم يفعل ، بمن سنستجد ؟

بوابات القصر الكبيرة تبدو كحارس فخور يأناره ، من المستحيل ان لا
يتأمل المرء الجدران المكللة بالشرقة الرائعة . كانت تقصد البيت ذا الجدار
الخلفي الملتصق بحصن القصر وخارت قواها عندما رأت الباب القوي
بالقطع الحديدية والجرس المتدلي بقربه . ماذا عساها تقول ؟ كيف تعرف
عن نفسها ؟ طلبت من الله ان يكون بول هناك !

دقت الجرس الذي رن بحزن بين جدران البناء الحجري ، ووقفت
تتنظر حتى يأتي احد ويفتح لها الباب ، لكن الصمت دام طويلاً بعد ان
سكن طنين الجرس ، فدفعته ثانية وقد فقدت ما بقي عندها من صبر لتعود

لسوزان. ولما استمر الصمت كادت تنقل راجعة والدموع تملأ عينيها، فسمعت صوت مفتاح في قفل الباب فاستدارت وحلقها جاف ومطبق، بينما البوابة الكبيرة تتأرجح الى الداخل، ظهرت سيدة عجوز تنكئ على عصا من الفضة، وسألها بالفرنسية:
- نعم؟

استجمعت هاريت هدوءها بصعوبة. لا بد انها لويز، وراى انها لا تبدو عجوزاً كما توقعت.
- انا...

بدأت كلامها بالانكليزية ثم انتقلت الى الفرنسية:
- اني آسفة لازعاجك سيدتي، لكنني أريد التكلم مع حفيدك بول. عسبت السيدة العجوز، وحدثت اليها بعينين رماديتين تشبهان عيني اندريه.

- لماذا تريدان محادثة حفيدي يا آنسة؟

فصرخت هاريت بياس:

- أوه، ارجوك، اهو هنا؟

وتابعت موضحة:

- حدث لابنة اختي حادث، جرحت ساقها ويجب ان اصطحبها الى الطبيب. لكنني لا استطيع حملها من دون عون.

هزت العجوز رأسها ببطء وقالت:

- اه، لا بد انك الأنسة انغرام أليس كذلك؟ وأنت التي اشتريت المزرعة القديمة.

- اجل، اجل.

لم يكن لديها وقت لتبادل المجاملات.

- هلي بول هنا؟

- كلا ليس هنا.

غرقت آمال هاريت عند سماع كلماتها، وقالت العجوز:

- انه في روشلاك يا آنسة.

- هل يوجد احد بإمكانه مساعدتي؟ أخوه مثلاً او والدته؟

- ليس لبول أخوة يا آنسة ولا أخوات. لو كان الامر كذلك لتنافس

معهم على ارضاء ابيه.

لم تستطع هاريت ان تتأخر. فاستأذنت بالانصراف وقالت:

- ان لم اجد احداً هنا بإمكانه مساعدتي، فيجب ان اعثر على من

يساعدني...

هزت السيدة العجوز رأسها قائلة:

- أي، أي، أي، اتم الشباب ليس لديكم الوقت لتغفوا وتكلموا سيدة

عجوزاً.

- الأمر ليس كذلك.

نظرت هاريت اليها مستسلمة واردفت:

- ابنة اختي لوحدها وعلى احضار احد لاسعافها.

- آسفة يا آنسة.

هزت العجوز رأسها، واستدارت بحركة متأنية وأقفلت الباب في

وجهها.

وقفت هاريت تنظر الى الباب مشدوهة ثم استدارت وعادت ادراجها

على طريق الوادي. كان فمها جافاً، وثاقت لشربة ماء أما لا وقت الآن.

راحت تمشي وتنتظر حولها مسائلة اذا كانت ستلتقي احداً. لكن الاحراج

كالفدير مكان معزول، تستعمله الطيور والحيوانات اكثر مما يستعمله

البشر.

واخيراً وصلت الدرب وشاهدت المنزل امامها. كان يبدو هائلاً وحلماً في

حرارة الظهيرة، فلم تنتبه لمحاسنه... يجب ان تدبر الامر مع سوزان

لتصلا الى السيارة، ثم يصبح الامر سهلاً لايجهاد عون. ربما الآن بعدما

ارتاحت سوزان تستطيع المحاولة.

دخلت هاريت المطبخ وأحست بالارتياح. لقد تركت نظارتها الشمسية

في السيارة وارتاحت حين شعرت بالظل. تقدمت نحو باب الصالون

ووقفت بذعر عندما رأت ابنة اختها تبدو فاقدة الوعي! لسبب ما حاولت

ان تحجر نفسها من على الاربكية وفي اثناء ذلك انفك الرباط فسقطت على

الارض وعاد الدم ينزف من ساقها.

- يا الهي!

وضعت هاريت يدها على فمها. لا تستطيع تحريك سوزان لوحدها الا

إذا جرّتها الى السيارة. اسرعت الى الامام وخرّت على ركبتيها قرب الفتاة البائسة وفي لحظة عصبت ساقها مجدداً وعندما لم تتحرك سوزان وقتت تنظر اليها بائسة. لم تجرؤ على تركها وحدها خشية ان تستيقظ وتلحق بنفسها ضرراً ما. يجب عليها بأية طريقة ان تأخذ الفتاة الى السيارة وربما من الأفضل ان تبقى فاقدة الوعي لأن الذي ستفعله هاربيت قد يؤلمها. قررت انها تحتاج الى بساط، وإذا استطاعت ان تضع سوزان على البساط ثم تجرّها الى السيارة، ربما الأمر اسهل. عادت الى المطبخ. قطع السجاد التي اشترتها لهذه الغرفة صغيرة جداً، لكن جلد الخروف بين السريرين قد يصلح اكثر.

ركضت تصعد الدرج، مناسية الألم في ساقها ثم مسحت يديها على بنطلونها وهي تقول لنفسها، ابقني هادئة، ولم تفلح. نزلت الدرج مسرعة وكادت تسقط لأن اصابع قدمها علفت بالسجادة وارتجفت قائلة لنفسها بصوت عالٍ، حاذري!
ولدى دخولها المطبخ رأت جسماً طويلاً يظلل فتحة الباب فشهقت وهتفت:

- يا الهي! اندريه!

ثم سقطت كومة واحدة عند اسفل الدرج.
هب اليها في لحظة، ورفعها بين يديه حتى تأكد انها تستطيع الوقوف لوحدها، وسأل بصوت أجش:
- ما الأمر؟ ما الذي حدث؟

انتهت هاربيت لشحوب وجهه وقالت بصعوبة بالغة:
- انها سوزان! لقد وقع لها حادث بالمنجل... انا... انا ذهبت الى القصر...

- اعلم انك فعلت. لذلك انا هنا.
- اوه!

ازاحت شعرها الى الوراء وتابعت:
- اذن جدتك...

- قالت فقط انك اخبرتها قصة غير مفهومة عن حاجتك لمساعدة بول.
نظرت هاربيت اليه وردت متلعثمة:

- بول... بول قال لي انك غائب.

هز رأسه بحيرة وقال بخواء:

- بول الذي قال هذا؟ ستخبريني فيما بعد. اين هي؟

- هناك.

اقتادته هاربيت الى الصالون فركع قرب الفتاة الغائبة عن الوعي. وضع اياهه على جفنيها وفتح نقرتي عينيها ثم انتصب ونظر الى الدماء على المقعد.

- لقد نزفت بشدة اليس كذلك؟

- اجل.

تقدم من المجل لغسل يديه قائلاً:

- سأخذها الى شيرون في بلسوريو.

- شيرون؟ هل هو طبيب؟

- لديه عيادة صغيرة.

جفف يديه وسأها:

- هل لديك شيء نظيف تربط به ساقها؟ وبطانية؟ لا نريدها ان تصاب

ببرد.

- اجل، اجل.

ونظرت حوها بلا تركيز:

- الا يوجد اطباء في روشلاك؟

- اجل، لكنهم لن يتمكنوا من عملية نقل الدم.

ثم عاد الى الصالون وذكرها بالرباط المطلوب.

اندفعت هاربيت الى فوق لتحضر غطاء مخدة نظيفاً وحرماً. ولما نزلت

ثانية وجدته يحمل سوزان برفق، وارشدها قائلاً:

- ضعي البطانية على الاريقة.

مدد الفتاة على الحرام واستدار ليتناول غطاء الوسادة وسأها:

- هل هذا الرباط؟

هذا كل ما لدي.

فمزق القماش قائلاً:

- اذهبي وافتحني الباب.

وربط ساق سوزان التي بدأت تتحرك.

- الباب؟ انه مفتوح.

احست هاربيت انها تتصرف بغباء، وأفهمها اندريه بصوت هادى:

- باب سيارتي.

- لم اعرف انك اتيت بالسيارة!

اجابها اندريه:

- لا اظن انك كنت في حالة تسمح لك بالاستماع الى اي شيء.

فألقت هاربيت نظرة طويلة وحزينة على الفتاة ثم غادرت الغرفة.

كانت الشمس في الخارج تعمي البصر بعد برودة الجو داخل البيت.

وتذكرت هاربيت كم هي عطشة. قرب سيارة الفيات كانت تقف سيارة

سيروين مغطاة بالغبار، فتقدمت منها بسرعة وفتحت الباب الخلفي،

ونظرت الى الوراء عندما سمعت اندريه يتناديها:

- هل ستأتين معنا؟

وعندما اومأت، تابع قائلاً:

- اذن من الافضل ان تغلقي باب البيت.

- اجل.

اسرعت الى البيت مازة باندرية وهو يحمل الفتاة.

كانت عينا سوزان مفتوحتين تنظران اليها بقلق فهمست لها بحنان:

- لا بأس عليك يا حبيبي، ستصبحين بأحسن حال.

سألت سوزان وعيناها ندمعان:

- ماذا حصل؟ الى اين نذهب؟

فأجابها اندريه بحزم:

- لزيارة الطبيب.

ثم نظر الى هاربيت نظرة ثابتة، فهزت رأسها واسرعت تغفل الباب.

لما عادت كان اندريه قد اجلس سوزان على المقعد الخلفي بطريقة

مريحة. همت بالجلوس قرب الفتاة لكن اندريه قال:

- من الافضل ان تجلسي على المقعد الامامي.

نفذت طلبه فوراً بعدما رمقت سوزان بنظرة عطوفة.

أقبل اندريه الباب وقاد السيارة الى الوراها بمهارة على المر ولم تحس

سوزان بالاهتزاز بسبب وسائد السيارة المريحة، وسرعان ما سدحوا الطريق المؤدي الى بلسوربو. كتب على اللافتة ان البلدة تبعد سبعة كيلومترات، وأحست هاربيت بارتياح. كانت المسافة أقل من خمسة اميال، وقطعها لا يستغرق الكثير من الوقت خصوصاً ان اندريه يعرف الى اين يذهب. ألقت نظرة جانبية على الرجل الذي يقود السيارة بثقة ويدين نحيلتين. يجب ان تشكره، ولم يكن من السهل ان تكون مدينة له. لقد عامل سوزان بغاية الرفق، واحست بالحسرة للطريقة التي عاملته بها في لقائهما الأخير. كانت تبرّر نفسها وهي تنظر من خلال النافذة. ولم لا؟ فهو الذي تسبّب في حقدتها عليه، والله يعلم ان لديها كل الحق لتكرهه.

تحركت سوزان، فانتهزت هاربيت هذه الفرصة لقطع جبل الصمت وقالت:

- كيف تشعرين؟

ارتجفت شفتا سوزان وهي تجيب:

- اشعر برعشة وحرارة.

ارادت ان تزيح الحرام لكن اندريه نظر اليها عبر كتفه وقال:

- دعيه عليها.

فامتثلت لرغبته.

- كيف حصل الحادث؟

كان سؤال اندريه متوقفاً، لكن هاربيت وجدت الاجابة عليه صعبة:

- سوزان... كنت انا في روشلاك، ويبدو ان سوزان قررت ان تكمل

قصّ العشب.

- بالمنجل؟

- اجل.

عضت هاربيت على شفتها السفلى وتابعت كمن يهذي:

- بول استعمل المنجل من قبل... كان يجب ان امنعه من ذلك، لانه

اداة خطيرة.

راح اندريه ينظر اليها كأنه يوبخها ويستصغرها فأحست انها بلهاء وغير

قديرة. لو حدث لبول حادث كهذا او اسوأ منه فكيف يكون احساسها؟

نعرها رد الفعل المتأخر بالغبان. واحست ان ساعات قد مضت منذ

كانت جالسة مع بول في مقهى روشلاك تحسني القهوة مما زاد احساس الفراغ بداخلها.

- كيف تشعرين؟

سألها اندريه فجأة وقد لاحظ شحوبها فتحركت في مقعدها كي لا يرى وجهها وأجابته باقتضاب:

- على ما يرام.

لم يبد أية ملاحظة اخرى، واخذ يحدث سوزان ويؤكد لها ان الدكتور شيرون كان لطيفاً وسيعالجها عما قريب وتحسن حالتها.

كانت بلسوربو اكبر بقليل من روشلاك وتقع في الناحية المنخفضة من الوادي. جسر مقوس فوق خندق مائي اوصلهم الى ساحة البلدة الصحابة ونافورة تسكب الماء في حوض حيث يلعب الاولاد. ابنة من الاحجار الطبيعية مزينة بستائر ملونة تظلل الزبائن المتواقدين للشراء في لوحة الظهري، وشرفات مزدانة بزهور ابرة الراعي واللوييليا الحمراء القانية.

قطع اندريه الساحة، ودخل زقاقاً مرصوفاً بالحجارة. ادراج حديدية قادت الى منازل فوق مراتب كانت في القديم اسطبلات للخيل. خرجت هاريت من السيارة وثيابها مشوشة فرأت اللافتة التي كتب عليها عيادة الدكتور شيرون وتعلمت بينها اندريه يحمل الفتاة ليخرجها من السيارة. كانت ساقها مخدريتين ولكنها اجبرت نفسها على اللحاق بها لأنها رأت اندريه يصعد الدرج باتجاه الباب المطلي باللون الابيض. من الغباء ان تنهار الآن بعد ان انتهت الازمة، بيد انها مسرورة لوجود الدرايزين.

استقبلتهم ممرضة بدا انها تعرف اندريه جيداً مما ساعده في تعجيل الأمور. عثر على الدكتور شيرون بدقات، وجرّت سوزان على نقالة الى غرفة العمليات الصغيرة. وفيما هي جالسة مع اندريه في غرفة الانتظار، سألتها:

- هل انت قادرة على اعطائهم بعض التفاصيل عن سوزان؟

تهددت بصعوبة وقالت:

- اضن ذلك. لا حاجة لان تنتظر معي، فقد يستغرق هذا بعض

الوقت.

فقطب اندريه وقال:

- هل تعتقدين انها مشترك هذا المكان اليوم؟

وعندما رأى الوجوم على وجهها، اكمل:

- من الاكيد انهم سيقوتها هنا على الأقل لمدة أربع وعشرين ساعة للمراقبة.

- اني... اني لم اتوقع هذا...

وضعت يدها على رأسها كأنها تحس بدوار وسألته:

- هل تعتقد انها ستكون على ما يرام؟

- فقدت كمية كبيرة من الدم ولكن هذا لن يعيق شفاؤها في عصرنا

هذا. الخطر الوحيد هو الالتهاب وأنا واثق من ان شيرون سيعطيها كل الحقن اللازمة.

فركت هاريت يديها ثم احنت رأسها قائلة:

- اذن، لست بحاجة الى تضييع وقتك بعد الآن.

صمت اندريه فترة قصيرة ثم قال بهدوء:

- هل قلت اني اضيع وقتي؟

- كلا، ولكن... من الواضح انك تضيعه.

ضمت راحتها بقوة وهي تنهرب من النظر الى عينيه الثابتين وتابعت:

- لا اعرف كيف اشكرك على مساعدتك لنا.

فذكرها اندريه قائلاً:

- لكنك لم تطلبي مني العون، اليس كذلك؟ ربما نستطيعين الآن ان

تقولي لي كيف تورط بول بكل هذا. هل ازعجك ثانية؟

اجابت بارتباك:

- كلا... نحن التقينا هذا الصباح في روشلاك... تناولت القهوة

معه...

- بينما كانت سوزان تقطع العشب؟

احتجت هاريت وهي تتهدد:

- لم اعرف انها كانت تعلم الحشيش. وبصراحة لم استطع ان اكون

وقحة وأرفض دعوة بول.

فقال بلهجة جافة:

- مما يسترعي الانتباه أنك لم تستعملي الاعتبار نفسه معي، لم تكن عندك

محاذير كهذه بالنسبة الي.

ازعجها اندريه والغرفة التي يجلسان فيها صغيرة فأدارت نظرها عنه حتى وهو يرتدي بنطلون جينز ملطخاً بالوحل، وقميصاً من القطن الخشن. كانت جاذبيته كاسحة... وكلما أمضت وقتاً أطول معه كلما صعب عليها ان تتناسى آخر مرة التقيا فيها... غمغمت لتقطع الصمت الثقيل.

- اتساءل ان كان سيطول بقاؤهم في الداخل؟

فابتعد ووقف ينظر من خلال النافذة، ثم سأها فجأة:

- من اعطاك فكرة شراء بيت في الدوردون؟

فوضعت يديها في جيبي بنطلونها كي لا يرى ارتجافها وقالت:

- كنت أحب دائماً هذه الناحية من فرنسا. وقال لي تشارلز ان توظيف

المال في البيوت شيء مريح.

قال:

- تشارلز.

وهز رأسه.

- أجل تشارلز هو كني، رب عملي... انا متأكدة انك تذكره.

لم تستطع ان تحذف السخرية، فاستدار ونظر اليها بغضب وقال

باستفزاز:

- أجل أتذكر تشارلز وأربكته المصنوعة من وبر الحصان التي كانت في

الغرفة الخلفية.

احمرت وجنتاها واجابت:

- من الأكيد ان تذكر ذلك!

فاكفهر وجه اندريه وقال بوجوم:

- ولم لا؟ لماذا لا اذكر؟ كنا سعيدين هناك.

ردت بحدة وهي تمشي في ارجاء الغرفة بخطى قلقة:

- انت كنت سعيداً.

ثم استطرقت بخوف:

- اوه، ليتهم يخبروني ماذا يدور في الداخل!

كان اندريه ينظر اليها، فاستجمعت قواها ورفعت رأسها لتواجهه. لماذا

يريد ان يكون كل شيء حسب رغبته؟

سألها بهدوء:

- هل تقصدين القول اننا لم نساعد معاً ابداً؟

فقفز قلبها وقالت باجهد:

- أفضل ان لا اتكلم عن ذلك... هل... الدكتور شبيرون صديق

لك؟

اجابها اندريه متجهماً:

- بالله عليك يا هاريت، تكلمي معي كما تتكلمين مع ابني! قولي لي،

ماذا كنت تنتظرين ان أفعل؟

- انت نسألني هذا!

شبهقت واردفنت وهي تشيح عنه:

- حسناً يا سيدي... هل علي ان اناذيك كونت؟ قل لي، كيف

زوجتك؟

فاستشاط غضباً، ثم قال برأس منحني:

- ألم يقل لك بول ان والدته توفيت؟

- ماتت!

لم تستطع إيقاف نفسها وأكملت متلعثمة:

- انا... كلا! طبعاً لم يقل لي.

ثم غطت عنقها بكفيها وسألته:

- لماذا لم تخبرني؟

- هل كنت استمعت الي؟ توفيت منذ ستة أشهر.

- ستة أشهر؟

لم تستطع هاريت منع نفسها من اعادة كل ما يقوله... وتابعت:

- انني... انني آسفة.

رفع حاجبيه مستهتماً. وقال:

- لا اري حاجة لأسفك. انت لم تتعرفي الى زوجتي.

حبست هاريت انفاسها واجابت:

- اشعر الاحساس نفسه لأي كان. لان الموت دائماً مؤلم.

اجابها:

- الموت يمكن ان يكون محمراً. في كل حال، اقبل تعازيك.

نظرت اليه هاربيت بعدم ارتياح وقالت:

- هل كانت... اكانت تعاني من مرض؟

تقلصت شفاته وردة باختصار:

- نعم. كانت مريضة.

- هل مرضت طويلاً؟

تنهد قائلاً:

- نعم، كان مرضاً مزمناً.

- منذ متى؟

فجأة كان لا يد لها ان تعلم، فساها:

- وهل الأمر يهيك؟

- احب ان اعرف.

نظر اليها بانتران ثم قال:

- منذ عشر او احدى عشرة سنة.

- احدى عشرة سنة!

ارتاعت هاربيت. هذا يعني... في اثناء لقاءاتها تلك... كان مجرى

هذا التفكير فظيماً للغاية، فغطت وجنتيها بكفيها وابتعدت عنه لفصل

بينها الغرفة الصغيرة... فقال بوجوم:

- مسمار آخر يدق في نعشي، اليس كذلك؟ اجل، كانت علية عندما

كنت الفاك. هذا ما تريد سماعه، اليس كذلك؟

- لا اريد سماعه.

فأجابها:

- لكن هذا يروق لك وربما يعطي تبريراً للطريقة التي تعامليني بها؟

شدت هاربيت شفتيها المرتجفتين وقالت:

- هذا لا يسرني ابداً.

اعوجت شفاته بعصية واجابها:

- كلاً، لدي انطباع واضح بانك تفتشين... كيف تعبرين عن

هذا... انك تؤججين نار كراهيتك! لا تودين ان تشعري انك مدينة لي،
والآن انت سعيدة.

- هذا ليس صحيحاً!

كان يتعد عنها ويفتح باب غرفة الاستقبال ثم تركها وحيدة وهي تشعر
باحساس مرهق وبأنه على حق. من الممكن ان تحترقه، لكنه الرجل الوحيد
الذي يستطيع تدمير أي دفاع ترفعه ضده.

تقدمت نحو الباب لتسمعه يخاطب المريضة. كان يسألها عما يدور في
الداخل، فأكدت المريضة له وهي تبتسم ان الدكتور شيرون سيقابلها بعد
قليل. كان واضحاً ان المريضة قد أعجبت به، وعندما ابتسم لها أحست
هاربيت بانقباض مؤلم في عضلات معدتها. ارتكزت على الحائط قرب
الباب وهي تحاول استعادة رباطة جأشها انما بدون جدوى. أحست
بغثيان، يا للعازر، تقيأت ولم تستطع منع نفسها من ذلك. احست بقدم
اندرية والمريضة، ويدا على وجه كل منها الاهتمام. وأطبق اندرية اصابعه
النحيلة على ذراعها وجزها برفق خارج الغرفة عبر بهو الانتظار الى الباب
الخارجي. السلم الحديدي كان في الظل ونسيم خفيف يمر في الزقاق
ويلطّف وجنتيها.

أحست هاربيت بالمهانة فابتعدت عن اندرية واتكأت على الدرابزين.
وهي تتلعق الهواء المنعش وبدأ الغثيان يتلاشى.

ارتعدت عندما تذكرت وتأوهت قائلة مخاطبة نفسها:

- ماذا ستقول عني المريضة؟

لكن اندرية سمعها، فقال وهو يتكىء قريبا على الدرابزين:

- من تفصدين؟ الأنسة دوبوا؟ انها ممرضة ومعتادة على المرض.

نظرت اليه هاربيت قائلة:

- انا لست المريضة. كان يجب ان اسأل عن مكان الحمام.

فرك اندرية انفه متأملاً وقال:

- من الواضح انه لم يكن لديك متسع من الوقت.

نظرت اليه بسرعة، معتقدة انه يهزأ بها، لكنه بدا جدياً وأضاف:

- هل تشعرين بتحسّن الآن؟

أحست هاربيت انها تفقد توازنها واعترفت بصدق:

- لا اعرف، لا بد ان الصدمة احدثت رد الفعل هذا.

فاستوضحها باهتمام:

- هل تناولت شيئاً من الطعام اليوم؟

- بعض الخبز المحمص.

- أهذا كل شيء؟

- كان نهراً محموماً ليس كذلك؟

انتصب مجيئاً:

- اجل، في اكثر من مجال على ما اعتقد.

ثم فتح لها الباب وأردف:

- بعد استشارة الدكتور منذهب لتناول الغداء، اليس كذلك؟

نظرت اليه وسألته مرتبكة:

- لماذا... لماذا تهتم اذا كنت قد تناولت وجبة الغداء؟

انقبض فمه وقال:

- سؤال جيد.

لكنه لم يعط له جواباً.

كانت المريضة تنتظرهما، واقبلت تقول وهي تبسم لهارييت:

- الطيب جاهز لمقابلتكما، هل استرحت؟

اجابت هارييت:

- شكراً، لقد تحسنت كثيراً، وانا آسفة على ما حصل...

فاكدت لها الفتاة قائلة:

- هذا ليس مهماً. اتبعيني من فضلك.

جلس اندريه في حجرة الانتظار واضطرت هارييت لمرافقة المريضة عبر

الباب المؤدي الى الرواق. مكتب الطيب كان ثاني باب في المر. تركتها

المريضة لتذهب وشحادت اندريه على الأرجح.

كان الدكتور شينون أصغر سناً مما تصورتها، متوسط القامة وله

سالفان، وشعر يجيل الى اللون البني. لم يكن رجلاً جذاباً لكن مريوله

الابيض اضفى عليه نوعاً من الجاذبية والسلطة. ابتسم عجباً باللغة

الانكليزية:

- آه، آسفة انغرام. تفضلي بالجلوس.

اخذت هارييت الكرسي المواجه لمكتبه. كانت متأثرة بمضاعفات

الغشيان والقلق على حالة سوزان. أتم الدكتور شيرون كتابة شيء ما وأطبق

الملف ثم جلس قبالتها وقال:

- والان، هل انت خالة الصغيرة؟

- اجل، كيف حالها؟ هل ستكون على ما يرام؟ لقد فقدت كمية كبيرة

من الدم.

ابتسم الطيب مطمئناً:

- لا داع للقلق يا آسفة. الفتاة نزلت بغزارة لكن هذا قد عولج، والان

بقيت امكانية الالتهاب.

شدت قبضتها على ذراعي الكرسي، وقالت:

- هل الالتهاب محتمل؟

عيس وهو ينظر الى يديه الناعمتين باظافرهما المقلمة والمختلفتين عن

يدي اندريه القاسيتين. حاولت ان تركز على كلام الطيب:

- يجب ابقاء ابنة اختك هنا، على الأقل لهذه الليلة، فساقها تحتاج الى

راحة كما تعلمين، ولدينا كل التسهيلات المطلوبة لعلاج الحالات الطارئة.

اومات هارييت قائلة:

- افهم.

نظر اليها بلطف وتابع:

- لا أتوقع أي طارئ يا آسفة انغرام. ان ابنة اختك شابة وبصحة

جيدة. كان الجرح نظيفاً لكن الأداة تقلقني. من الممكن ان تكون أدوات

الحديقة خطيرة.

اومات هارييت قائلة:

- هل يمكنني مشاهدتها؟

- بالطبع، لكن ربما بامكانك أولاً ان تعطيني بعض الايضاحات

عنها... اسمها، تاريخ ولادتها، عنوان سكنها، الى آخره. سيستغرق

هذا دقيقة، ثم تستطيعين لقاءها لوقت قصير. اسمها سوزان، أليس

كذلك؟ لقد اعطيناها مسكناً واقترح ان تبقي معها لدقائق معدودة.

كانت سوزان نعسانة عندما دخلت هارييت لمشاهدتها، لكنها قبضت

بلى يدي خالتها وصرخت:

- لا تتركيني هنا.

فشدت على اصابعها مطمئنة وقالت:

- عليّ ان افعل ذلك . ستبقين هنا الليلة وناخذك غداً الى البيت .
 - ولكنني لا اتكلم الفرنسية .
 فمزتها سوزان قائلة:
 - لا تقلقي يا حبيبي، انهم يتكلمون الانكليزية وسيهتمون بك .
 - أين السيد لاروش؟
 نقلت هاريت واجابت:
 - لماذا تسألين؟
 - اود مشاهدته لأشكره لأنه جاء بي الى هنا .
 - سوف تفعلين غداً . والأآن عليك ان تستريحي لتستعيدي قواك
 وتذهبي الى البيت .
 دعمت عينا سوزان وقالت:
 - هل يمكنك ان تعودى لاحقاً؟
 ترددت هاريت واجابت:
 - ربما أستطيع . سأستوضح الأمر وانا خارجة . واذا استطعت، اعدك
 بان افعل .
 شهقت سوزان قائلة:
 - لقد خيَطوا ساقي . . . وقالت المرضة ان الجرح احتاج الى عشرين
 قطبة .
 هزت هاريت رأسها:
 - عشرون قطبة؟ هذا كثير .
 - أعلم ذلك .
 وزها وجهها عندما أيقنت انه اصبح لديها قصة ترويها لصديقاتها في
 المدرسة عندما تعود لانكلترا، ثم عهدل فمها وعلقت بحزن:
 - لن أستطيع لعب التنس هذه السنة .
 فشجعتها هاريت بقولها:
 - ستفعلين في العام المقبل .
 عندئذ دخلت احدى المرضات فقالت خالتها:
 - يجب ان اذهب الآن .
 قالت المرضة بلطف:

- من فضلك يا آنسة .
 فانحنت هاريت وقبلت خد سوزان هامسة بحنان:
 - سأراك فيها بعد .

وابتسمت وهي تغادر الغرفة .
 لكنها في الخارج فقدت الثقة ومشت باتجاه هو الاستقبال وهي تحس
 نفسها غريبة على أرض غريبة . من المفروض ان تكتب الى والدتها لتخبرها
 بما حدث ، مع انها لا تتشوق للقيام بهذا العمل . كانت السيدة انغرام
 صعبة الاقناع بأصغر الاشياء، وجرح احتاج الى عشرين قطبة لم يكن امراً
 تافهاً .

وجدت المرضة خلف مكتبها حين ظهرت في الباب انما لم تجد انراً
 لاندرية . امتعضت، وانهارت معنوياتها، لكنها وضعت احاسيسها جانباً
 واقتربت من المكتب وهي تسأل:
 - هل من الممكن ان اعود لاحقاً؟ ان ابنة اختي تحس بالانقباض ولييني
 ازورها ثالثة، في الساعة السادسة . . . مثلاً؟
 فكرت الانسة دوبوا قليلاً ثم قالت:

- لا احد يمانع في ذلك انما هل لك ان تتصلي بنا قبل مجيئك؟
 شكرتها هاريت وذهبت . لم تحس انها قادرة على التفسير للانسة دوبوا
 بأنها بلا هاتف . في كل حال قرّرت ان تعود فيها بعد وليس لديها شيء آخر
 تفعله . لاحظت انها لم تحضر حقيبتها وكونها لا تحمل نقودا لا تستطيع تأمين
 انتقالها . ترددت عند الباب وهي تميل لتسأل المرضة ان تقرضها بعض
 المال . وفجأة فتح الباب وظهر اندريه . ارتاحت لرؤيته ونظرت اليه فافدة
 الصوت، ولاحظت انقباض فمه قبل ان يسأل:

- هل هناك مشكلة؟ هل انت جاهزة للذهاب؟
 - ماذا؟

لملمت نفسها بصعوبة، وتابعت:
 - اجل، اجل .

سألها:

- هل سوزان على ما يرام؟
 فأومأت واجابت:

- كما قلت سيقونها هنا هذه الليلة:

- حسناً. والآن، هل نجد مكاناً لتناول الطعام؟

مرت هاربيت من تحت ذراعه وهو يفتح لها الباب، ومشت مرتجحة وهي تنزل السلم الحديدي. تبعها اندريه ثم تجاوزها ليفتح لها باب السيارة، فتوقفت وهي تحمس بتوتره وقالت:

- اعتقدت انك ذهبت.

- اذهب؟ والى أين اذهب؟

بدا وجهه خالياً من اي تعبير فقالت:

- الى البيت. لتعود الى القصر.

دفعها اندريه بخشونة الى داخل السيارة ثم أغلق الباب ولف من حول السيارة ليجلس قربها. لم يتكلم وهو يضع المفتاح ويدير المحرك. وضعت هاربيت يديها بين ركبتيها وتمنت لو لم تحاول ان تفسر الموقف. غادرا الزقاق ودارا حول ساحة السوق وسلكا الجسر الى خارج المدينة. خاب أملها واندهشت لأنها كانت تنتظر ان يتناولوا الطعام في احد المقاهي تحت الشمس. ربما اندريه سحب دعوته لأنها تصرفت بغباء! احست بالبرد يهاجم معدتها.

كانت تحاول استجماع شجاعتها لتسأله الى اين سيذهبان حين انحرف عن الطريق الى درب ضيق مظلل بالاشجار كأنه يقود الى طريق مسدود. انتهى الطريق فجأة الى بوابة حديدية، حيث المراعي تنحدر الى النهر والصفاف ملأى بالازهار. كان المكان رائعاً، وصوت جرس الساعة يقرع عن بعد مما زاد من رونقه. نظر اندريه اليها ولاحظ نظراتها المستغربة فقال:

- ظننت انك تفضلين هذا المكان على أي مقهى تحت انظار عشرات الناس. انت غريبة هنا والناس فضوليون.

- هل ستناول طعامنا في الهواء الطلق؟

مد اندريه يده الى مؤخرة السيارة واخرج رغيفاً فرنسياً طويلاً، وبعض الجبنة ودزاقاً مقشراً، وقال بهدوء:

- احضرت هذه الاشياء وانت تتكلمين مع الطيب.

- لم اعرف، لم اتصور...

تلعثمت لكنه هز كتفيه بطريقته المعهودة وفتح باب السيارة. بعد تردد

فصير لحقت به وأسرعت لتفتح البوابة.

أغصان شجرة الكستناء المتفرقة كانت تؤمن واحة ظل. وبعد استئذان هاربيت فرش اندريه البطانية التي حمل بها سوزان على الحشيش. ثم اشمّت اشهى رائحة خبز عندما قطعه. جلست على طرف البساط، وهي تتمتع بالمنظر الذي يبدو مألوفاً ولكنه غير مألوف. محاسن هذا المكان تشبه المناظر التي تعرفها في انكلترا. كانت الالوان نفسها انما تختلف بعض الشيء، فالخضرة هنا أعمق وأقوى، وخط التلال الحمراء أفسى... الشفق يجيم بكسل فوق المراعي ويبعث رائحة عشب وثمر بري... وسرب من الأوز البري أزعجه شيء غريب فاندفع الى السماء واجنحته القائمة ترفرف في عرض الافق.

اسندت هاربيت ذقنها على ركبته وتساءلت اي خطر زجت نفسها فيه.

٨ - جدار الماضي

اتكا اندريه على جذع الشجرة وفتح زجاجة عصير الفاكهة قائلاً:
- اعذريني، ليس عندي اقداح.

ثم نظف عنق الزجاجة براحة يده وقال:
- هل تمنعين؟

هزت هاريت رأسها وهي لا تجرؤ على الكلام كيلا تفسد جمال اللحظة. قدم لها الزجاجة لتشرب أولاً وكانت لا تزال باردة ومنعشة. بقي مذاق العصير على لسانها لفترة بعدما اعادتها اليه، ثم قالت:
- طعم الخبز كان لذيذاً كرائحته ونكهة الجبنة قوية ومرضية.
سال عصير ثمرة الدراق التي في يدها على اصابعها فأخذت تلعبه بلسانها كما يفعل الأطفال. شعرت بدهشة لاحساسها القوي بالجوع أخذة في الاعتبار ما حدث صبيحة هذا اليوم. وادركت ان الساعة تجاوزت الثالثة، فسألته:

- الا تتساءل جدتك أين انت؟

فأنزل الزجاجة من شفتيه واجاب عذفاً اليها باهتمام مركز:
- لويز؟ ربما، لا شك انها تعتقد بأنني عدت الى عملي.

مسحت هاريت بيدها آخر نقطة من العصير عن فمها وسألت:
- هل انت تعمل؟ ماذا تفعل؟

استد رأسه على جذع الشجرة واجاب:
- انا مزارع وماذا يفعل المزارعون؟

اتسعت حلقها وقالت مترددة:

- لكنك الكونت دو روشفور.

تقلصت شفتاه وصحح لها بشدة:

- انا اندريه لاروش وما نفع الألقاب لي؟

نظرت هاريت الى اصابع قدميها. عرفت انه ليس الوحيد في هذا الوضع. كانت المقاييس تتبدل في جميع انحاء اوربوا، وفي انكلترا مثلاً معظم الأملاك بيعت او قدمت هبة للدولة ولم يسمح بتوريث الثراء. لكن الأمر يبدو مختلفاً بالنسبة الى اندريه. سألتها:

- ما الأمر؟ انها طريقة شريفة لكسب العيش أليس كذلك؟

وافقت بسرعة قائلة:

- اجل.

- لكن لماذا يظهر عليك الانزعاج؟

هزت هاريت كتفيها وبدت عاجزة عن التفكير. كيف تفسر له ان هذه الصورة الجديدة لا تطابق الصورة التي عرفتها عنه سابقاً؟ رجل يتحاشى ذكرى مهنته لأنه غير محترف. ولاحظت ان يديه الناعمتين منذ ثمان سنوات قد خشتا الآن... قالت:

- آسفة لأنك لا تستطيع صيانة القصر كما كنت تفعل.

- ربما تظنين ان فلاحاً صغيراً لا يصلح لأن يشاركك غذاءه.

نظرت اليه متألّة وهزت رأسها قائلة:

- هذا ليس صحيحاً. في الحقيقة لا يتناسب ذلك مع الذي عرفته عنك.

اجابها بحدة:

- ماذا تعتقدين انك تعرفين عني؟

واخذ يشتم بغضب واكمل:

- تناسي الموضوع. انها أمسية حارة لا تصلح للنقاش.

اطبق عينيه كي لا يراها، فوجدت نفسها تقبض على معصمها بقوة.

خلع معطفه، وفتح ازرار قميصه. كانت ساقاه ممدودتين امامه بكسل،

لكن خطوط عضلاته تبرزت تحت قماش بنطلونه الخشن. تساءلت هاريت

عن شكل زوجته، وان كان اندريه قد احبها كثيراً. لقد رزقا بولد واحد،

وهذا يعني ربما حملاً صعباً واختلاطات لاحقة. او من المحتمل ان زوجته لم

ترغب في انجاب اطفال آخرين. ارتعدت هاريت ووضعت يديها على بطنها. هل كان مختلف الأمر لو عرف الحقيقة؟
فتح عينيه فأشاحت طرفها عنه لكن ليس قبل تلافى نظراتها، وملاحظتها الاهتمام الذي ظهر في نظرتيه... وتحول انتباهه عنها، أخذت تجمع بقايا الغداء في كيس من الورق. فرأته يمسك بزجاجة العصير التي لم تفرغ بعد وسألها:
هل انت عطشانة؟
هزت رأسها.

- كلا. كنت اتساءل عن مصير الزجاجة، اعتذر ان كنت سببت لك ازعاجاً.

- انت دائماً توتريني.

أخذ نبضها يتنفس. ابتعد عن الشجرة، ثم استلقى على البطانية وتهدد بقرها. للحظة خيل اليها انه سيلمسها فتوترت اعصابها يترقب. لكنه لم يفعل بل مد ساقيه ورفع زجاجة العصير الى فمه.
أرادت ان تبتعد عنه. كانت ذراعه على مسربة منها الا انها لم تتحرك كي لا يصبح الأمر جلياً. كذلك لا يجب ان تتوتر عندما تكون على مقربة منه... سألها:

- خيريني يا هاريت، لماذا عزفت عن الزواج لغاية الآن؟
انقبضت واجابت بسرعة:

- لأنه لم يطلبني احد.

- لا اصدق هذا. ماذا جرى للشبان المتلهفين الذين كنت تعرفينهم في بلدك؟

- لقد انتقلت الى لندن حيث اسكن الآن.

- الا يوجد رجال في لندن؟

ورمقتها بنظرة قائمة واصاف:

- لا اصدق ان ليس لديك معجبون؟

- اتقصد بعدك انت؟

لفظت العبارة وهي تكاد تحتق، واردفت بحق:

- اتظن انه كانت لي علاقات كالعلاقة التي كانت بيننا؟

زجر اندريه بعنف واستدار قائلاً:

- كلا، لم اعتقد شيئاً من هذا القبيل. لكنني لست غيباً، لقد دريت نفسي على الا اكون الرجل الوحيد الذي له تأثير عليك.

- اذن تعتقد اني اقامت علاقات... ربما، لكنك لن تعرف الحقيقة ابداً، اليس كذلك؟

قالت هذه العبارة بمرارة فصرخ فيها:

- هاريت!

الطريقة التي لفظ بها اسمها اثارت مشاعرها، وعندما ناداها ثانية بعاطفة، ارتعد جسمها ليتجاوب مع رغبة صوته الملحة. لم تنصع لتأثيره بل ابقت عينها مفتوحتين وهي تحدق في زرقة السماء، وتذكرت ما سيحصل لو اذعنت... احس بنفورها مع انها لم تستطع منع التفاعلات التي اثارها فيها. ثم زفر بصوت منخفض وابتعد عنها يستلقي على ظهره بجانبها ويداه مشدودتان فوق رأسه كما لو انه يمنع من الانفجار، تنفس بتقطع وقال بخشونة:

- واخيراً، انتهى كل شيء.

نهض بوحشية وسحب ستروته بيدين مرتجفتين واصاف:

- تعالي، سنذهب الآن.

لم تحس هاريت انها كانت ممسكة انفاسها حتى بدأت تتحرك، ثم شعرت بصعوبة عند تنشقها الأوكسجين لأنها أحست بالم شديد في رثتها وقلبها من قوة التشنج. ماذا حدث لها؟ سألت نفسها بذعر وهي تجلس لترتب ثيابها. لقد برهنت له بأنها لم تعد تلك الفتاة الصغيرة السريعة التأثير التي عهدها وانه لن يخدعها ثانية. اذن لماذا لم تحس بالانتصار؟
عندما نهضت، اخذ اندريه البطانية والكيس المحتوي على الفضلات.

وقالت في نفسها: يا للخسارة!

لحقت به الى البوابة لكن هذه الكلمة دلت على علاقتها وكان عليها ان

تصارع الدموع قبل ان تنهمر.

استغرق بعض الوقت للوصول الى البيت، وعندما سألها اندريه الذي

بقي صامتاً طول الطريق، ان كانت ستعود الى بنسوربو في الصباح.

فاجابته:

- لقد وعدت سوزان ان اعودها هذا المساء فهي لم تكن مسرورة عندما تركتها هناك. قلت لها انني سأحاول رؤيتها ثانية اليوم.
- فهمت. هل نظنين انه من الصواب ان تفعل ذلك؟
- ولم لا؟

كانت ستناقشه لكنه فتح يديه ليعبر عن موافقته وقال:
- كما تشائين.

ولم يزد شيئاً. همت بالنزول من السيارة وقالت:
- اشكرك ثانية.

لكنه اكتفى بهز رأسه وغادر المكان فوراً. تجولت هاربيت في الغرف الخالية، وهي تضغط على نفسها كي لا تشفق على ذاتها. فأحضرت دلواً من الماء وقطعاً من القماش لتغسل الدم الذي لطح المقعد. وبينما كانت تعمل بيديها، كان عقلها حراً ليهيم كيفما شاء، ومن المحتم ان تفكر باندرية وبما قاله عن زوجته.

تساءلت عن نوع المرض الذي طال امه لسنين عديدة. هنالك عدة احتمالات، وايقنت كم هذه الامراض مدمرة للزواج. لكن هذا العذر لا يبرر تصرف اندريه، واخذت تفكر اكثر من اللازم حتى المتها ذراعها. كون زوجته مريضة ليس عذراً قوياً ليبحث عن المتعة في مكان آخر، اوربما تغاضت زوجته عن تصرفه، انما لا يعقل هذا.

استراحت على كعبيها، ولو استطاع احد ان يقرأ افكارها لحسبها تحاول ان تجد له مبرراً او تجد مبرراً لنفسها. او ماذا؟ ماذا فعلت لتشعر بكل هذا الانزعاج؟ أرغمت نفسها على تناول عجة بيض قبل ان تعود الى المستشفى. هذه المرة استعملت سيارتها واخذت معها حقيبتها، وارتدت فستاناً حريرياً بلون الشمس ذاتنايا تبرز رشاقة ساقها. . . ارادت افهام الانسة دويوا انها ليست تلك الفتاة المشوشة التي قابلتها صباحاً . . . حين وصلت كانت نوبة عمل الانسة دويوا قد انتهت، ووجدت سيدة مسنة تجلس الى مكتب الاستقبال. طلبت منها السماح بمقابلة سوزان فنظرت اليها برية ثم سألتها بالفرنسية ان كان الدكتور شيرون قد سمح لها بزيارة المريضة. وعندما اعترفت هاربيت بانها لم تستأذن الطبيب هزت السيدة رأسها معترضة:

- آسفة، الدكتور استدعي خارج المستشفى ولا استطيع السماح لك بالزيارة.

فتهدت قائلة:

- لكن ابنة اختي جرحت ساقها، وستبقى هنا الليلة فقط.
- آسفة.

اجابتها المسؤولة مجدداً:

عندها فتح باب خلفي ونسمة من الهواء البارد اعلنت قدوم شخص ما، فاستدارت هاربيت واحست بالارتياح عندما رأت الدكتور شيرون. لم يرتد الدكتور معطفه الأبيض لكنه احتفظ بوقاره. تردد قليلاً ثم تقدم نحو هاربيت عجباً.

- آسفة انفرام. انا سعيد بلقائك ثانية. هل اتيت لزيارة سوزان؟
حزرت ان الطبيب لم يعرفها بعدما رآها وهي متعبة في الصباح. لكنه خبا دهشته ببراعة. قالت وهي تصافحه:

- اتساءل ان كنت تسمح لي؟

- لا مانع لدي يا آسفة، انما اخشى ان تجدني نائمة. كانت مستيقظة عندما جاء صديقك، لكن الآن . . .

- صديقي؟

نظرت اليه هاربيت بدهشة فاوماً الطبيب قائلاً:

- اجل. لاروش - الكونت دوروشفور. انه صديق لك اليس كذلك؟

نقلصت اصابع هاربيت على حقيبتها وسألت:

- هل عاد؟

- اجل وكانت سوزان تتناول طعام العشاء. بدت مسرورة جداً حين

رأته. لكن بما انك ولية امرها، فيجب ان تصارحيني اذا كنت اخطأت

بالسماح له بزيارتها؟

- اوه كلا . . . كلا.

هزت رأسها بعنف، بيد انها احست بقلق لما سمعته. لماذا؟ لماذا لا

يستطيع اندريه ان يزور سوزان ان اراد؟ من الواضح ان سوزان لا تمنع

فلماذا تمنع هي؟

احس الرجل بانزعاجها فقال لها:

- تعالي، سنذهب ونرى ان كانت مستيقظة.

لكن سوزان كانت نائمة تتنفس بعمق. لونها طبيعي وكان على شعيتها ابتسامة. وضع الدكتور شيرون اصبعه على جانب عنقها وهو يراقب ساعته ثم عاد الى حيث تقف هاريت عند مؤخرة السرير وقال هامساً كي لا يزعج الفتاة:

- تحسنا جيد. اذا لم تظهر عوارض التسمم في ساقها صباح غد، اعتقد اننا سنسمح لها بالمغادرة. لكن عليك ان تعديني باحضارها فوراً اذا حصل تغيير في اللون.
- اجل.

اومأت هاريت وتقدمته نحو المر. وفي طريقهما الى بهو الانتظار، اقترح الدكتور شيرون قائلاً:

- من المؤسف انك اتيت لزيارتها وكانت نائمة. هل تسمحين بان ادعوك لتناول العشاء؟

نظرت اليه من طرف عيناها. كان وجهه جدياً ويدل على ترقب جعل زرقة عينيه اغمق.

- انا متأكدة يا دكتور ان لديك عملاً.

لم تشأ ان ترفض الدعوة بقسوة، لكنه هز راسه قائلاً:

- لقد رجعت الى العيادة لاسأل الممرضة جاستون ان كان هناك حالة طارئة. وبما انه لا يوجد طواريء، فأنا حر هذه الليلة.

توقف ليراقب تصارع العواطف على محياها المعبر، واصل:

- ارجوك! سيشرفتني ان تشاركتيني العشاء.

ترددت هاريت. اعجبها الدكتور شيرون لانه رجل ذكي ولطيف، لكنها لم تشأ ان تورط نفسها مع اي رجل وخصوصاً ممن يعرفون اندريه.

فغمغمت وهو يفتح لها الباب المروحي لتعمر:

- لا ادري... لا اشعر بجوع شديد.

ابتسم الطيب، وافتكرت، كم يبدو اصغر سناً عندما يضحك.
قال:

- اذن تعالي وراقبيني انعمشى.

فضحكت قائلة:

- حسناً.

وافقت بذهنها وهي تؤكد لنفسها انه لا يوجد سبب يمنعها من قبول الدعوة. فهو رجل وسيم، والبيت الخالي الذي ينتظرها لا يعجبها. ربما

سهرة مع شخص موضوعي لا يعرف عنها شيئاً قد تساعدها.

تناولا العشاء في مطعم يعطل على الساحة. كانت النافورة مضاءة في الليل والمياه تنساب منها بألوان مختلفة. ومع ان المطعم صغير، الا انه رائع

وجدت نفسها تذوق فطائر الكبد المدقوق المشهورة في هذه المنطقة، ثم الدجاج المطبوخ بالكريم.

وبعد فترة ابتسمت له عبر الطاولة المضاءة بالشموع واعترفت قائلة:

- لم اعتقد بالفعل اني كنت جائعة يا دكتور شيرون.
- وانا حذرت انك لن تستطيعي مقاومة طعام هنري المغربي... على

فكرة اسمي مرسيل، اود ان تناديني به.
حاولت هاريت لفظ اسمه ثم وضعت كأسها على الطاولة وقالت:

- اسمي هاريت.

اجاب الطيب:

- لم اعرف احداً يدعى بهذا الاسم.

لفظ اسمها كما يفعل اندريه دون ان يلفظ حرف الهاء.

تساءلت عما كان يفعله اندريه هذه الليلة، وهل اخبر جدته وابنه عن الحادث الذي اصاب سوزان؟

لقد علمت الكثير عنه اليوم، لكن هناك اشياء كثيرة لم تعرفها بعد، وسوف لا تعرفها ابداً...

كان مرسيل رقيقاً مسلياً، وبالرغم عنها تمتعت هاريت بالسهرة. حدثته عن عملها وشغفها بالسيراميك، ونصحها باصرار ان تشاهد

البورسلين والأواني المظلية بالمينا صنع ليموج. وافقت بأن ليموج جديرة بالزيارة لكنها زارتها مع تشارلز منذ بضع سنين واجبت المنطقة آنذاك.

ومؤخراً عندما اقترح عليها تشارلز ان تشتري عقاراً هنا اهتمت بالموضوع. بما انها جاءت بسيارتها الى بلسوربو، لم يحظ مرسيل بمرافقتها الى البيت.

كان رجلاً لطيفاً واستمتعت برفقته. اوصلها الى حيث اوقفت سيارتها بقرب الساحة. وقال:

- سأراك غداً. هل تعرفين طريق بيتك جيداً؟

- اعرفها تماماً.

فتحت باب سيارتها قبل ان يقوم بأية حركة للمسها. وقالت:

- شكراً للسهرة المتعة.

- كان هذا من دواعي سروري.

اجابها بتهديب ووقف يلوح لها بيده.

لقد حل الظلام وكانت الطريق تلتوي امامها. تساءلت ان كانت حقاً تعرف الطريق الى البيت. وتنفس الصعداء عندما رأت اللافتات على يمينها وتأكدت من مفترق بيتها. سمحت لسيارتها ان تنحدر قبل ان توقفها امام البيت واذا بها ترى سيارة اخرى امامها. كانت سيارة اندريه السيتروين. كاد قلبها يتوقف عندما اطلقت محرك سيارتها وترجلت، نظرت بقلق نحو البيت، لكنها لم تر ارضاء. اجفلت حين انفتح باب السيتروين وخرج اندريه. لم تر سوى جانب وجهه في ضوء السيارة الداخلي عندما فتحت الباب. سألته وهي تمس بالذنب اذ تذكرت كيف قضت امسيتها:

- ماذا تفعل هنا؟

لم يجيبها بل توجه نحو البوابة قائلاً:

- هل ندخل؟

ارادت ان تجادلها لكن حدسها حذرها من ان تتحدها، فدخلت البوابة ومشت عبر الممر. وحالما فتح الباب سبقها اندريه واصاء المصباح بينما كانت تسدل الستائر الصفراء. ثم استدارت لتواجهه وهي واعية بمظهرها وما سيفسره به. الليلة يرتدي بنطلوناً اسود وقميصاً حريرياً، واللون القاتم الذي يرتديه يظهر مزاجه المعكر. وقف قرب الموقد وقال بهدوء:

- هل ذهبت الى المستشفى؟

- اجل كما فعلت انت.

احنى رأسه واستوضحها:

- هل قالت لك سوزان ذلك؟

- كلا. الدكتور شيرون اخبرني.

- هل رأيت شيرون، وماذا قال لك؟

بللت هاربيت شفيتها:

- قال انها تتحسن انما كانت نائمة.

- احقاً؟

لاحظت انه يتكلم بالفرنسية كلما احس بتوتر ماء، وتابع يقول:

- هل انتظرتها حتى استيقظت من النوم؟

- كلا...

تضايقت وغضبت لذلك. فماذا يعنيه كيف تقضي وقتها؟ قالت:

- كلا... في الواقع تناولت العشاء مع الدكتور شيرون.

وهنا لاحظت وجه اندريه يتقلص.

- احقاً؟

- انك لا تمنع، اليس كذلك؟ انا فتاة حرة واستطيع ان اختار كيف ومع

من امضي سهراتي.

نظر اليها ببرودة قائلاً:

- وهل قلت خلاف ذلك؟

- كلا لكن... اوه... انه ليس بالأمر المهم.

هزت رأسها بخيبة وشعرها الكثيف يتأرجح حول كتفيها وقالت:

- لم تقل لي لماذا انت هنا.

وضع يديه خلف ظهره فانفتح قميصه واجاب:

- جئت حسب توصيات لويز، لادعوك الى العشاء.

فأحست هاربيت بموجة خجل تغمرها وتابع هو بصوت اجوف:

- بالتأكيد ان الدعوة متأخرة الا اني احسنت بالقلق عندما لم تعودني من

المستشفى فقررت ان انتظرك هنا.

- فهمت.

وضعت حقيبتها على الطاولة دون ان تنظر اليه واردفت:

- انني آسفة.

- لا فرق. المهم انك الآن هنا.

اهتمت هاربيت للأمر، وكالمعتاد احسث انها المخبطة فقالت بارتباك:

- ارجوك ان تشكر جدتك على الدعوة. ربما استطعت نليتها في وقت

آخر.

فنظر اليها قائلاً:

- اخبرني بول انك ترفضين المجيء الى منزلي.

احمر وجهها وهتفت تدافع عن نفسها:

- كان الأمر يختلف. كان هذا قبل... قبل...

- قبل ان تعزفي ان زوجتي قد ماتت؟

حركت هاربيت كتفها قائلة:

- ربما.

تقلصت اساريره وقال بقسوة:

- لم اعتقد ان الأمر يهيك.

فشهقت قائلة:

- حسناً، كنت غخطاً.

- حقاً؟

اتسع انفه غيظاً، ولاحظت انه يضبط اعصابه بقوة ارادته. قال:

- مع العلم انك بعد الظهر رفضتني بكل اوتار كيانك.

اسعدتها وجود الطاولة بينهما، فانكأت عليها قائلة:

- من الأفضل ان تذهب الان فأنا متعبة.

ارخى يديه وحاولت هاربيت لآخر مرة ان تنصرف بشكل طبيعي.

قالت:

- شكراً. اشكرك ثانية على كل ما فعلته اليوم.

اظهر حركة عدم مبالاة واجاب بصوت قف:

- كنت سأفعل هذا لأي كان. بالمناسبة، هناك شيء آخر، يجب ان

تطلعي من الطبيب الكريم ان يقدمك الى زوجته في وقت ما.

احست باللون يفارق وجهها وهمست لاهته:

- انه... متزوج؟...

- منذ عدة سنين، انت قليلة الحظ باختيارك لمرافيقك!

ارتجفت شفاتها وقالت بغضب:

- ايها... ايها الوغدا! لقد تمتعت بابلاغي هذا، اليس كذلك؟ كم

يسعدك ان تراني اتلوى من الخجل.

تضايق اندريه ورد بجفاف:

- لا تكوني بلهاء. هل تفضلين ان اخفي الحقيقة عنك؟ ماذا كنت

مستغلين لو ان السيدة شيرون جاءت تطرق بابك، كما فعلت في الماضي

مع نساء اخريات، واهتمت بالفاظ مهذبة، انك انشي متحلة الاخلاق؟

قالت هاربيت بطريقة آلية وهي تشيح نظرها عن وجهه الساخر:

- نساء! في كل حال انت الذي تقول انها تفعل ذلك.

- ومن المؤكد ان كلامي ليس كافياً اليس كذلك؟ اذن... ستكونين في

امان هنا بمجردك.

- لا تزعم ان الأمر يهيك.

اجابها بيروود جعل انفاسها تتسارع:

- تعلمين انه يهمني، كل ما تفعلينه يهمني، لكن هذا شيء تعلمت ان

اعيش معه.

انفجرت شفاتها كأنها تحتق وقالت:

- ارجوك، لا تقل لي اشياء كهذه. كلانا يعلم انها ليست صحيحة، وانا

غير مستعدة لان اعيد الكرة.

قام اندريه بحركة انهرامية وقال:

- انت قاسية جداً يا هاربيت. لكن ربما انت على حق وقد فات الاوان.

تنهد ثم تابع:

- لم اصدق، ولكن...

وهز رأسه.

ادارت نحوه عينين موجوعتين وسألته بلوغة:

- ماذا تريد مني يا اندريه؟ ما تريدني ان اقول؟ انني ساعثك؟ انني

نسيت انك عاملتني كفارس مغوار؟

رد عليها بخشونة:

- فارس؟ ما هذا؟ انا لست بفارس.

- كلا انت لست هكذا. انت كل شيء باستثناء ذلك.

- اذن لماذا تقولين هذا؟

- اوه...

طردت الكلمة بحركة من يدها. وتابعت:

- هذا يعني... اعمال، عدم تفكير. اظنك تعلم ماذا يعني.

- اظنك تبالغين. حسناً. ان قبولي بمجيبك الى باريس قد لعني في نظرك، لكن يجب ان اذكرك بانك اردت المجيء، بل يمكنني القول انك توسلت الي ان اوافقك على مجيئك.

- اوه. هذا اجمل ما سمعته منك... انك تضع اللوم علي وحدي، اليس كذلك؟
- اللوم؟

نظر الى السماء كأنه يطلب منها وحيأ وتقدم متجاهلاً احتجاجاتها وامسكها بقوة من كتفيها:

- بالله عليك، لماذا كان علي ان اشعر باي لوم؟
كان قريباً جداً مما اشعرها بارتباك وشبه اختناق، وعزت ضعفها تجاهه الى الارهاق الذي واجهته هذا اليوم. لكن عليها ان تنصبر على هذا الضعف وبالطريقة الوحيدة التي تعرفها. فسألته وهي ترتجف وتنظر في عينيه:

- كيف تحسني شعرت حين وصلتي رسالتك؟ لا بد انك كنت تعلم انه لم تكن لدي اية فكرة.
فتقلصت شفاه وقال:

- وكيف نظيتني شعرت وانا اكتب الرسالة؟ صدقيني، لم يكن الأمر سهلاً.

فصرخت باثثة:

- اذن لماذا فعلت ذلك؟

فهز رأسه بتعب وقال:

- تفصدين لماذا قبلت بقدمك الى باريس؟

فهتفت باختناق:

- لماذا جعلتني افعل في حبك؟

اسودت عيناه وقال:

- كان احساساً متبادلاً ولم تكن لي اية سلطة عليه.

- لبتك لم تتكلم معنا في قاعة المزايا!

- وانت لبتك احترمت نصيحة شارلتر، اليس كذلك؟

هز رأسه ثانية وتابع يقول بندم:

- انا حاولت يا هاريت. توقفت عن لقائك لكنك اردت ان تعاليني. والله يساعني، لم استطع ان ارفض طلبك.
فابتعدت عنه قائلة:

- ماذا... ماذا تعتقد انه جرى لي بعد... بعد ان كتبت لي الرسالة؟
تهتد قائلاً:

- حاولت ان لا افكر. حاولت ان لا اتصورك مع رجل آخر.

اختنق صوته، فنظرت اليه باهتمام قائلة:

- الا تفكر انه كان ممكناً...

توقفت واشاحت عنه وحاولت ثانية.

- ألم يخاطر لك ابدأ احتمال ان اكون قد دفعت ثمناً غالياً لتلك الليلة؟
- ماذا؟

ادارها لتواجهه ونظر اليها باهتمام متوهج وقال ويده تضغط بعنف على ذراعها:

- ماذا تقولين؟

اجابته بارجاف:

- ماذا... ماذا تظني احاول ان اقول؟ افهمت؟

فصاح وهو يطبق يديه على وجهه ويشد جلد خديه الى الوراء قبل ان ينزل ذراعيه:

- كلا! يا آهي! كلا!

نألت هاريت وهي تراه يتعذب لندى استيعابه معنى كلامها.

كان البيت هادئاً، وكانا وحيدين كأنها الوحيدان الباقيان على قيد الحياة ولم تعد تهتم بشيء سوى هذه اللحظة، وعلمت انها لحظة اللارجوع...

ثم سمعت صوتاً مفاجئاً يهتف بحسرة:

- يا آهي!

احست هذه الصرخة تسقط على رأسها كماء مثلج، ولكن بالنسبة الى اندريه كان الأمر اسوأ. اذ كان بول يقف مشدوها في الباب، وهو ينظر اليها كأنه لم يشاهد احدهما من قبل.

ثم تلفظ بعبارة نائية وسمعاها يخرج متعثراً في الظلام. صرخ اندريه بياس ووجهه شاحب من شدة الانفعال:

- هاريت. هاريت، يجب ان الحق به.

- اجل .

كان صوتها خالياً من التعبير، وتركز بصرها على الأرض فنظر اليها قائلاً:

- هاريت، لا تدعي هذا الامر يقف بيننا . . .

- وما العلاقة التي تربطنا؟

- هذا ليس صحيحاً .

والثفت ليحدق في سواد الليل، ثم نظر اليها قائلاً:

- هاريت، ارجوك دعيني اعود اليك . . .

- كلا .

- ماذا تقصدين بكلا؟

- اقصد كلا، يعني النفي . آه . . . اذهب يا اندريه . اذهب واعثر على

ابنك . الا ترى اني ارجب فقط في ان اترك وشأني؟

- انت متوترة . . .

- كلا، كنت متوترة، والآن عاد الي رشدي . اشكر بول بالنيابة عني .

فلو لم يتدخل لكنت قد فقدت كل احترام لذاتي!

تهدل كتفاه وبدا على وجهه التعب الشديد، وللمحظة تحركت مشاعرها .

ولكن عندئذ تذكرت زوجته المسكينة والحالة التي كانت فيها .

لا شيء يغير ما حصل من قبل . كان الماضي يقف حائلاً بينهما . وبما انها

لم تقدر ان تثق به سابقاً فكيف يمكنها ان تثق به الآن؟

٩ - الرحيل

قالت سوزان محتجة بامتعاض:

- لماذا علينا ان نعود الى انكلترا؟ اعلم ان ساقني بحاجة الى وقت لتشفى

انما لماذا لا يكون هذا في روشلاك؟

كانت هاريت تلف حول منعطف وشمتم بصمت حين احست برجة

فجائية في مبدل السرعة، ثم اجابتها:

- سوزان، قال الدكتور شيرون ان الاستحمام المنتظم ضروري،

واخشى ان اقول له اننا نستعمل الغدير او ذلك المغطس الاثري البدائي

الذي وجدته في الكوخ .

- لكن الحمام نظيف ويمكنني استعماله .

- كل يوم؟ ومن الذي سيحمل الماء اليه؟ كوني واقعية يا سوزان، هذا

ليس معقولاً .

اعترضت سوزان قائلة:

- لكنك لم تذكرني شيئاً عن ذلك يوم امس .

تهددت هاريت واجابت:

- بالامس كلانا لم يدرك اهمية الموضوع . الان صرت قادرة على التفكير .

انا آسفة مثلك، انما لا اجد حلاً آخر .

تنشقت سوزان الهواء وتمتمت وهي على وشك البكاء:

- تقصدين بيت جدتي، اليس كذلك؟ انسيبت انه ليس لدي بيت اذهب

اليه؟

استصغرت هاريت نفسها واوضحت:

- ليس عليك ان تذهبي الى جدتك ان لم ترغبي في ذلك . بوسعك البقاء معي في الشقة على الأقل حتى يحين وقت العودة الى المدرسة .
 - احقاً؟ هل استطيع ذلك؟
 اشرق وجه سوزان وتابعت:
 - لا امانع، اقصد ان هناك الكثير من الأشياء في لندن اليس كذلك؟
 انني اعرج في الوقت الحاضر وسيكون الأمر اسهل .
 اجبرت هاربيت نفسها على الابتسام وهي تحاول ان تفهم ماذا ستعني لها العودة الى لندن . لم تنم في الليلة الماضية، واحست هذا الصباح كأنها ميتة .
 لكن بعض مساحيق الوجه غطت الشحوب . عيناها فقط كانتا تفضحان عذاب افكارها المعزقة .
 ادركت ان ما كانت تفعله لم يكن سوى الأفضل . لقد عاشت ثمانى سنوات بدون اندريه، وستتعلم ان تعيش بدونه مرة اخرى . . . ربما احبها بطريقة الخاصة، فلا شك انه يأسف لما حصل ولكن هناك اموراً لا يصلحها حتى الزمن . . . من الأفضل الابتعاد الآن قبل ان تتدهور علاقتها وتلقى نهايتها المحتومة .
 ربما كان حادث سوزان داعي خبير، على الأقل منحها عنراً مقبولاً للرحيل، وعند وصولها الى انكلترا ستصل بالوكالة لتتبع البيت . . . سوف تحزن لأنها تعلقت بأرضه وجدرائه وبرائحة الخزامى البرية الفاتحة في ارجائه .
 انها تتطلع الى انكلترا، الى لندن والى تشارلز . لا شك انه سيندهش لغيبها لشهر واحد فقط لكنها تريد العودة الى العمل لتشغل عقلها ويديها .
 بعد ان ركزت خالتها على المقعد الطويل خارج مدخل البيت سألتها سوزان:
 - متى تظنين اننا سنرحل؟
 ثم نظرت للشمس الساطعة . و اردفت:
 - ان تندمي على هجرك كل هذا؟
 - احسبني سأجد شيئاً عما قريب .
 اكدت هاربيت ثم اضافت:
 - والان، هل ستكونين على ما يرام اذا ذهبت لأحزم امتعتنا؟

- لكنك لم تعلميني بموعد رحيلنا!
 تهتدت خالتها واجابت:
 - لا اعرف، ربما غداً او بعد غد . يجب ان اعلم الدكتور شيرون أولاً ليعطيني ملفك للطبيب في لندن .
 فعبست سوزان قائلة:
 - ليتنا نبقي هنا . ألا تغيرين رأيك يا هاربيت؟
 - كلا .
 كانت هاربيت حازمة بجوابها فتهتلت ككفا سوزان واولتها ظهرها .
 توقعت هاربيت قدوم اندريه طيلة النهار، لكنه لم يأت مع حلول الظلام . ذهبت لتنام وكان يساورها احساس بالحيرة . ضربت وساداتها وقالت لنفسها: يا الهي، ماذا اريد بعد كل هذا؟ انا التي طلبت منه ان ينصرف اكثر من مرة، ولم اتذمر لأنه فعل . لكنها تود ان تراه للمرة الاخيرة، فكرت بياس، لكي تقول له انها راحلة وتودعه، وبذلك تنتهي العلاقة بوضوح .
 سافرتا بعد ظهر اليوم الثاني واتجهتا شمالاً الى الهافر وامضيتا الليلة في استراحة على الطريق . وصلتا الى الهافر في ساعة متأخرة من مساء اليوم التالي، ولحسن حظهما تمكنتا من تغيير الحجز . استغلنا حالة سوزان لتصعدا على متن المركب المزدهم كما ان جاذبية هاربيت ساعدت في اقناع موظفي المرفأ . قضتا ليلتهما في فندق صغير وابحرتا في الصباح لتصلا ساوث هامبتون قبل الظهر . مغادرة السفينة اخذت وقتاً اطول، ووصلتا لندن عند الغروب . احست هاربيت بالارتياح لأن الرحلة كانت طويلة ومرهقة، وتاقت الى استعادة شيء من حياتها الطبيعية السابقة .
 كانت شقتها في منطقة نايتس بروج الأنيقة، وكان الفضل لتش حصلت عليها بايجار معقول . في أي حال لم تحب ان تسكن في منطقة اخرى من لندن، ويناسبها ان تكون على مرمى حجر من هارودز .
 وجود سوزان في الشقة لأول مرة اثارها وقالت وهي تنظر الى تحت من الطابق الرابع:
 - ما اجمل هذه الساحة!
 اعترفت هاربيت انها تحب اناقة البناء الهادئة التي تسكنها وهي تقيم هنا

منذ ثماني سنوات. تذكرت أهلها فتظرت الى سوزان قائلة:
- يجب علينا الاتصال بجذتك.

اجابت سوزان:

- هل يجب ان نفعل؟ الا نستطيع تأجيل ذلك الى ان تشفى ساقى؟ ان
جذتي سريعة الانفعال وتقلق لأبسط الاشياء.

- حبيبتي، علي ان اخبر تشارلز بقدمنا، ولا استطيع ان اخبر تشارلز
بدون ان اخبر امي.

جلست سوزان على الاريكة في قاعة الجلوس واراحت ساقها على وسادة
واجابت:

- حسناً، لكن لا تطلبي من الجدة ان تأتي الى هنا فانا لا نحمل اهتمامها
المفرط بالأمور.

تصلت هاريت بتشارلز أولاً فصاح فرحاً:

- هاريت!

كان جريلاً ان تسمع صوته المنمق مع انه بدا مندهشاً جداً لعودتها.

- اين انت؟

- في الشقة، عدت الى البيت لكن سوزان متوعدة!

- ماذا تقصدين يا هاريت؟ لماذا لست في فرنسا تتمتعين بالطقس
الجميل؟

اجابت وهي تنظر الى الفتاة محاولة اخفاء مشاعرها:

- حصل لسوزان حادث بالمنجل. لقد جرحت ساقها. وكما تعرف لا
يوجد حمام في البيت، واقترح الطبيب ان نقلها الى مكان تتوفر فيه اسباب
الراحة.

- اوه هاريت!

انزعج تشارلز ولم تفهم لماذا وقد حسبته سيفرح لعودتها... اجابته
بصوت يادي الألم:

- لا بأس، سترتاح مني لاربعة اسابيع اخرى. سوزان تسكن معي هنا،
ومسجد اشياء كثيرة تشغلنا.

فصاح تشارلز:

- هاريت! هاريت! عما تتحدثين؟ لا نستطيع الكلام على الهاتف. ما

مشاريعك ليوم غد؟

- سأرتاح، لقد ارهقتني قيادة السيارة لثلاثة ايام متواصلة!

- حسناً، بعد غد يكون الأحد، ما رأيك لو تشاركاني الغداء؟

- يبدو عرضك شيقاً يا تشارلز.

- عظيم. تفضلا الى بيتي، السيدة ريتشي ستكون سعيدة بتحضير
الغداء. سأنتظركما في الثانية عشرة ليتسنى لنا الكلام قبل الطعام.

فغمغمت هاريت بارتياح:

- كلامك فيه تذيير شؤم.

فضحك تشارلز وقال:

- اذن الى اللقاء في يوم الأحد، قبلي سوزان بالنيابة عني واوصيها ان تنب
لنفسها في المستقبل.

طال حديث السيدة انغرام بالنسبة الى حالة سوزان. وكانت هاريت قد
ذكرت ما حدث للفتاة ثلاث مرات. فانفعلت الجدة وسألت:

- لا اتصور انك سمحت لفتاة بعمر سوزان ان تستعمل المنجل!

اعادت هذه العبارة عدة مرات وهاريت تحاول اقناعها بدون جدوى
انها لم تسمح لسوزان بذلك. وتابعت امها تقول باصرار:

- لا تحاولي التهرب. من الواضح انها استعملت المنجل وكان من الجائز
ان تقتل نفسها! هل تتصورين ذلك! الا تظنين اني تعذبت بما فيه الكفاية
عندما قتلت والدتها... ووالدها ايضاً؟

اجابت هاريت وهي تنظر الى سوزان بعطف:

- في اي حال انها تماثل للشفاء الآن...

- يجب ان تحضرها فوراً الى هنا. من الواضح انك لست مؤهلة لتحمل
مسؤولية فتاة بعمرها. كنت اتردد بالسماح لها بالذهاب معك خصوصاً
بعد...

لم تكمل الجملة وتابعت:

- في اي حال، لك حياتك في لندن ووجود سوزان سيعيقك عنها.

- قلت يا امي انها تستطيع البقاء هنا...

كانت سوزان تبدو غير مرتاحة وغير مدركة تماماً لما يجري على الهاتف
وراحت تتوسل الى خالتها بعينها بان لا تتأثر بكلام الجدة. ابتسمت

هاريت محاولة التركيز على كلام امها . . .

- ماذا ستفعل سوزان طول النهار اثناء غيابك بالمتجر؟ هل يمكنك المشي
ام اصبحت كسيحة؟ لا تستطيع البقاء لوحدها في الشقة طيلة النهار!
تهددت هاريت قائلة:

- سوزان تستطيع التحرك يا امي . انها ليست كسيحة ولن تكون وحيدة
طول النهار فانا لن ابشر عملي قبل شهر من الآن، واذا ذهبت الى المتجر
سيكون ذلك لوقت قصير.

- في اي حال لا يعجبني هذا وانا متأكدة انه لن يعجب والدك ايضاً . من
الأفضل ان نزروركما لنرى سوزان ونسألها رأياً.
- طبعاً هذا يتوقف عليك.

- لا نستطيع المجيء غداً لأننا ننتظر أليس والأولاد. اذن يوم الأحد.

- ذلك غير ممكن لأننا سنخرج الى الغداء يوم الأحد.

- انتما ستخرجان؟ مع من؟ من يعرف بعودتكم؟

- ادركت هاريت انها في مازق فقالت بسرعة:

- كان تشارلز هنا يقوم بتهوية البيت وطلب منا ان نتناول الغداء معه يوم

الأحد.

ابتسمت سوزان، ورفعت خالتها شعرها بشعب وقالت:

- هل هذا كل شيء يا امي؟

استاءت السيدة انغرام فأجابتها:

- تعلمين يا هاريت ان والدك لا يحب السياقة بعد نهار عمل، وانا لا

احسن استعمال القطار.

- اني آسفة . . .

- بوسعك ان تتناولي الغداء في يوم آخر مع الرجل الذي يدعى هوكتي.

انت تفتعلين العواتق. كيف اعلم انك تقولين الحقيقة؟ لا اصدق انك

وجدته في البيت عند قدمك.

اجابت هاريت ثانية:

- آسفة.

وكانت حقاً آسفة لأن علاقتها بأهلها وخصوصاً بامها لم تكن على ما يرام

منذ حادثة اندريه . . .

احست بالغرابة عندما استيقظت على صوت السيارات بدلاً من صوت
العصافير التي اعتادت على تفريدها . . . وغريب ايضاً ان تستعمل ابريق
القهوة الكهربائي بدل ان تضيء الغاز، وان تستحم بالندوش بدلاً من ان
تغسل وجهها بالماء البارد كما كانت تفعل هناك. ومع ان الوضع مختلف
فلم يخل من حسبات . . . التسويق، بيرينز، الخادمة التي سألت ان كان
باستطاعتها ان تقوم بالتنظيف يوم الاثنين، واغراضها الخاصة كقطع
السيراميك التي اشتقت اليها وازادت تفقدها.

قضت السبت بكسل، تلذذت سوزان بمشاهدة التلفزيون اما هاريت
فتصفحت الجرائد وغسلت ثيابها المتسخة وقرأت عن الاضرابات وارتفاع
اسعار الاغذية انما لم يحصل شيء خارج عن المعتاد اثناء غيابها.

كان منزل تشارلز في الطابق الأخير في بناء فيكتوري مستحدث. غرف
واسعة وسقوف عالية ومجموعة الاثاث والاثاث، كل هذا اعطى نوعاً من
الراحة لمنزله. كان مسكن وحيداً باستثناء قط اسود كبير، وقد لقيت
هاريت القط باسم بيرسوس لأنه يستطيع الففز بين التحف بدون ان
يوقعها وكأنه مجنح.

استقبلتها السيدة ريتشي وضحكت بقلق عندما رأت سوزان تعرج
وهي تصعد الدرج متكئة على ذراع خالتها. ادخلتها اليهو الصغير الذي
بدا اضيق لوجود صندوق احضره تشارلز من جوهانزبرغ قالت السيدة
ريتشي:

- لماذا استعملت المنجل بدل المقص الاكثر سلامة وفعالية؟

فردت هاريت بطول اناة:

- لم يكن هناك مقص.

ثم ساعدت سوزان على خلع معطفها، ووضعت سترتها على الصندوق
وهي تسأل:

- كيف حالك يا سيدة ريتشي؟ وكيف حال الروماتيزم؟

دخل تشارلز الى الصالون ووجهه يعبر عن سعادته بلقاء هاريت.

وقال:

- عزيزتي، كيف حالك وكيف المريضة؟

اجابت سوزان:

مساعدتي الى الغداء بدون ...
 قاطعته هاريت بخشونة:
 - البيت على ما يرام، لكن المالك لم يعرف انه بيع، وبالطبع كان يحتاج لبعض التصليحات.
 - هز تشارلز رأسه بأسف وسأل:
 - هل كانت حاله سيئة؟
 - لقد تدبرنا الأمر.
 - وهل ستعودين؟
 - كان يريد ان يعرف وفهمت انه نجح شيئاً، فردت بصوت اجوف:
 - لن اعود وسأبيع البيت الى اندريه ان اراد ذلك.
 - نظرت الى تشارلز بتمعن واحست ان شكوكها في محلها، فتشارلز يدري ان اندريه يعيش في روشلاك وسواء علم او لم يعلم انه يملك البيت، فلم يصدم عندما سمعها تلفظ اسم اندريه. واجه نظرتها المتهمه وقال:
 - حسناً، كنت اعرف ان لاروش يسكن المنطقة. لكنني لم اعرف انه يملك البيت، صديقي. اظن انك التقيت به ثانية. ماذا حدث؟
 - تغست هاريت بغضب واجابته:
 - انك تجلس هنا وتجرو على القول ان اندريه يسكن قرب روشلاك، وتنتظر مني ان اخبرك بما حدث! يا لاعصابك القوية!
 - انحنى تشارلز ليربت على يدها الا انها ابتعدت عنه فقال بأسى:
 - هاريت! لا تغضي. فعلت فقط ما كان علي ان افعله.
 - فعلت الذي خيل اليك انه صواب! لو اردت يا تشارلز ان تؤذي عمداً لما وجدت طريقة افضل.
 - ألأنك لا تزالين مهتمين به؟ انني اعلم، ولكن يا هاريت...
 - فوقفت تقول:
 - من الأفضل ان نذهب الآن قبل ان اقول شيئاً اندم عليه.
 - كلا انتظري! لا تذهبي! اسمعيني من فضلك.
 - توقفت هاريت وقالت:
 - لا فائدة يا تشارلز.
 - ارجوك، اجلسي.

- ساقني في تحسن مستمر.
 وجلست فوراً على مقعد مغطى بسجادة مطرزة وكانها تكذب جوابها المتفائل.
 الجلوس في صالون تشارلز مريح لأن النوافذ المفتوحة تسمح للهواء بالدخول. كان الطقس ثقيلًا في الخارج، ولاحظت تشارلز ينظر اليها وهي تتكلم مع سوزان. تساءلت لماذا يرغب في التحدث اليها؟ هل يريد تأكيد من انها عادت سالمة؟ ام ان لدعوته معنى آخر؟ انها معتادة على دعوات تشارلز، وربما اليوم تخيلت انه قلق عليها.
 طعام السيدة ريتشي كان لذيذاً. حساء وروستو تم مهلية تشتهر بها منظمة يوركشاير.
 وقال تشارلز:
 - طلست من السيدة ريتشي ان تحضر هذه الاطباق لظني بانك ستلتذذين بغداء انكليزي.
 سأته هاريت:
 - هل دعوتنا فقط لتناول الغداء؟
 - لم يجب تشارلز لكنه نظر اليها على غير عادته مضطرباً. لم تتبه سوزان لما جرى لأنها كانت تلعب مع القط على السجادة. اقترح تشارلز ان يكلمها على انفراد فدخلوا غرفة المكتب، وبادرته هاريت بالسؤال:
 - ما الأمر؟ لماذا تتصرف بهذه الغرابة؟ ماذا جرى اثناء غيابي؟
 اجابها:
 - لم يحدث شيء، تفضلي بالجلوس هنا قرب المكتب فأنت تشيرين اعصابي بخطواتك القلقة.
 - فردت بنفاد صبر وهي تجلس قبالة:
 - انت الذي تثير اعصابي! ماذا يجري؟ ما الأمر؟ لماذا اردت الكلام معي؟
 - تهد تشارلز وقال:
 - هل تمنعت بعطلة سعيدة؟ كيف كان رب البيت؟
 - تشارلز!
 - ابنتي العزيزة، لم آت بك الى هنا للاستجواب. استطيع ان ادعو

- لماذا؟ ماذا لديك من كلام؟

- هز رأسه وقال:

- عليك ان تسمعي ما اود قوله قبل ان تسارعي الى استنتاجات خاطئة.

ترددت هاربيت وقالت:

- اوه، تشارلز...

- ارجوك يا هاربيت الا تريدين ان تسمعي ما عندي؟

- ماذا عندك لتقوله؟

تهدد تشارلز قائلاً:

- اجلسي.

تنفست بعمق وعادت تجلس قائلة:

- حسناً لكنك تضيع وقتك. فلن نحصل مصالحة كبيرة بيني وبين

اندرية، ولا احسبك تريد ذلك.

فتنظر اليها بعينين مغممتين بالحنان وقال اخيراً:

- هاربيت، لا تتظاهري معي يا عزيزتي فأنا اعرفك منذ وقت طويل.

هل سيختلف الامر لو قلت لك ان اندرية كتب لي رسالة خاصة؟

١٠ - الهاربان!

ران على الغرفة صمت كثيف استطاعت هاربيت ان تسمع فيه دقات

الساعة الفرنسية النحاسية التي تزين رف الموقد... ام انها خفقات قلبها

تدوي في اذنيها؟

وقالت اخيراً وهي تحديق الى تشارلز بذهول:

- ماذا قلت؟ ان اندرية كتب اليك؟ متى؟

ربت تشارلز على كتفها ورفع ساقه على حافة المكتب واخذ يمزق قدمه

قائلاً:

- منذ ستة اشهر تقريباً. بعد عيد الميلاد، في وقت معرض آل

جانينغ...

- اوه، لا نبال بمعرض جانينغ، لماذا لم تخبرني؟ قل لي، لماذا كتب اليك؟

فشبك يديه وقال:

- كانت زوجته قد ماتت لتوها. هل عرفت ذلك؟

اومات هاربيت:

- اجل، لقد اخبرني.

بدت الدهشة على تشارلز وسألها:

- ولكن ذلك لم يعن لك اي شيء؟

رفعت رأسها وقالت بارتجاف:

- عنى لي فقط انه كان يجتمع بي فيها زوجته تعاني من مرض عضال!

فردد قائلاً:

- مرض عضال! الا تعرفين ما هو؟

- كلا. ولا اريد ان اعرف. . . تشارلز، الى ماذا يقود كل هذا؟ هل تريد القول انه كان يعلم اني كنت سأشتري البيت؟
- كلا، كلا! من الأفضل ان تقولي لي ثانية كيف التقيت باندرية؟
- لماذا؟

- احب ان اعرف.
- ان كان لا بد ان تعرف، كان اندريه في البيت يوم وصولنا. لقد علم ان المنزل قد بيع وبدأ بتنظيفه.
- هل صدم حين رأك؟
عبست هاريت واجابت:
- اعتقد اني صدمت اكثر. . . لكن هذا شيء طبيعي، اذ لم اكن اعلم انه كان يرأسك!

- تابعي، ماذا حصل؟
- عرض ان يرد لي ثمن البيت، لم يسعه ان يفعل اكثر من ذلك لأن البيت بحالة يرثى لها.
- لكنك لم تقبلي؟
تورد وجهها واجابت:
- كلا، ليس من اجله ولكن من اجل سوزان. ولم يكن لدي الوقت لأجد بيتاً آخر. . .
- اذن بقيت.

- اجل، حتى اصيبت سوزان بالحادثه.
استوعب كلامها مفكراً وعاد يسألها:
- هل رأيت لاروش ثانية؟ لا بد انك رأيت.
فهتفت غاضبة:
- لماذا تفترض ذلك؟
- لأن من المستبعد ان يبتك بوفاة زوجته فور التقائه بك، ام تراه فعل؟
خفضت بصري واجابت:
- كلا. التقينا عدة مرات بعد ذلك.
- فهمت.

- في الواقع، هو الذي ساعدني في نقل سوزان الى المستشفى لدى

اصابتها وكان لطيفاً جداً.

نظر تشارلز الى رأسها المطاطاً وسأل:

- لكنك لا تفكرين الآن بلقائه ثانية؟
- كلا.

- ولماذا؟

- تشارلز، انت رب عملي لكنك لست المسؤول عني، ثم اني كنت احسب دائماً انك غير راض عنه.

تهتد تشارلز وقال:

- لم اوافق حتى رأيت ما حل بك.

- ماذا تقصد؟

انحنى الى الامام واخذ يدها قائلاً:

- يا ابنتي، لا تغضي، فانت تعلمين مثلما اعلم انك اصيبت صاحبة مهنة بالدرجة الأولى.

- وما العيب في ذلك؟

- لا شيء، لكنك لا تتصرفين بشكل طبيعي. لا تخرجين بما فيه الكفاية، والعمل هو هدفك الرئيسي في الحياة. . . لا تسمحين لأي رجل بأن يقترب منك!

ارادت هاريت ان تتعد عنه لكنه بقي ممسكاً بيدها. حدثت اليه بنظرة دفاعية وقالت بارتباك:

- الذي تقصده يا تشارلز، هو انني كبرت ولم اعد تلك الطفلة الصغيرة السهلة التأثر.

فأجابها بحزم:

- لقد توقعت داخل صدفة، هذا كل شيء، نظنين ان بإمكانك الهروب من الحياة؟ لا، انت لا تستطيعين ذلك وعليك ان تدركي هذه الحقيقة سريعاً.

- اهذا ما قاله اندريه؟

- كلا، كلا، بالطبع لا. قلت لك ما قاله اندريه. ان زوجته توفيت وسأل عن احوالك وان كنت سعيدة. ولم اجبه.

وشهقت مستغربة.

- لم تجبه؟

- كلا، ما كان عساي ان اقول؟ انك تهدين حياتك؟ او اخفي الحقيقة
واقول له انك فتاة سعيدة وراضية؟

- اني سعيدة وراضية، عل الأقل كنت كذلك!

- كنت تعيشين في عزلة.

ونض تشارلز فأجابت:

- لدي اصدقاء...

- ليسوا مقربين ما عداي. انا اعتبر نفسي صديقك مهما حدث.

- لذلك قررت ان ترسلني الى فرنسا...

- بعدما كتب لي لاروش، قررت ان افعل شيئاً. عرفت انك تحبين

فرنسا خصوصاً بعد الرحلة الى ليموج. فبدأت اتصالاتي لشراء عقار في

الدرودون. ثم اقتنعتك بذلك، وقبلت بشغف. ثم قتلت اختك وزوجها

وانت تعرفين ما حدث بعد ذلك.

هزت هاريت برأسها وكأنها لا تصدق، وغمغمت:

- الصدف لا تحصل دائماً.

- كانت صدفة ان يكون اندريه صاحب العقار الذي اخترته.

- ظننت هكذا.

وتهدت هاريت عندما سألتها تشارلز:

- كيف يبدو اندريه؟

فارتعدت واجابت:

- اكبر. افسى.

- اقوى؟

- ربما هكذا.

قال تشارلز:

- مضت عليه اوقات قاسية كفيلاً بتغيير مظهره.

رددت هاريت:

- اجل، وزوجته قاست الكثير.

قطب تشارلز حاجبيه وتابع:

- فواتير المستشفى تتطلب مالا كثيراً، واضطر الى احضاره من مكان ما.

في اليوم الذي التقيناه في صالة المزاد في سان جرمان، كان يبيع بعض
الأواني الفضية لآل روشفور. اظن انهم خسروا كل شيء. وكانت لديهم
اشياء ثمينة جداً... تغيرت احواله من الغنى الى الفقر المدقع.

اجابت هاريت:

- لا تحاول ان تجعلني اشفق عليه! لم يكن في بد زوجته حيلة.

- كلا واندرية لم يستطع عمل شيء. لأن زوجته امضت آخر اثني عشرة

سنة من حياتها في مستشفى للأمراض العقلية.

- ماذا؟

لحسن الحظ كانت هاريت جالسة حين سمعت هذا النبأ، وسألته

بوجل:

- ماذا تقول يا تشارلز؟

- اقول ان زوجة لاروش كانت مصابة بمرض عقلي. عندما تزوجها

كانت تشكو من الهستيريا، وحرم عليها ان تنجب اطفالاً. لم تستعد رشدها

بعد ان انجبت ولدها.

قالت هاريت متحسرة:

- من المؤكد ان اندريه لم يجبرك كل هذا!

- كلا، اخبرني فقط بوفاة زوجته بالمستشفى بعد مرض طويل. فضولي

دفعني الى الاستقصاء. عائلة روشفور ليست مجهولة في فرنسا.

خبأت وجهها بين يديها وقالت:

- يا آلهي!

فسرت كلمات تشارلز بأشياء كثيرة، وخصوصاً الرسالة التي تسلمتها

من اندريه بعد عودتها من باريس، وفيها يعلمها بهتذيب انه لا يستطيع

الزواج منها لأنه كان متزوجاً ولا يستطيع الطلاق.

لف تشارلز ذراعه حولها وقال بحنان:

- آسف يا عزيزتي، انما كان علي ان اخبرك، فمن حقل ان تعرفي.

رفعت هاريت وجهها حزيناً وقالت:

- ماذا استطيع ان افعل؟ لم اعرف. لم افهم. ظننت... ليتني كنت

اعلم...

- اجل ولكن ما كان بإمكانك فعله؟

ارتجفت شفتاها وهمست:

- لا اعلم. لا اعلم.

اضاف تشارلز:

- يا للرجل المسكين! اخذ اكثر من نصيبه من التعاسة.

فقالت بزفرة حارة:

- انه يعتقد اني اكرهه.

- وهل تركهينه حقاً؟

هزت رأسها:

- لقد حاولت. ظننت اني اكرهه لكن حين رأيته...

- ادركت انك لا تستطيعين؟

اومأت قائلة:

- انا احبه يا تشارلز. واعتقد اني احببته طيلة الوقت.

- هل يجبك ايضاً؟

حدقت امامها وقالت:

- لا اعرف، في كل حال فأت الاوان.

- لماذا؟

- اوه تشارلز، لا يستطيع المرء ان يفتح ويقفل عواطفه وكأنها حنفية

ماء. لو عرفت ربما اختلف الأمر.

- اذن هي غلطتي. كان يجب ان اخبرك.

- لا تتغاي.

نظرت اليه من خلال دموعها واكملت:

- ليس من المفروض ان تعلم. كان على اندريه ان يخبرني بنفسه.

طرقة على الباب انتهت المحادثة. اطلت سوزان ونظرت باهتمام عندما

شاهدت هاريت تبكي.

وهتفت:

- ما الأمر؟ هل انت غاضب من هاريت يا سيد هوكني؟

- كلا، كلا، كلا.

تقدم تشارلز من الفتاة ليعطي هاريت الوقت الكافي لتهدأ وقال لها

موضحاً:

- كنا نتكلم عن صديق لنا واجه خطأ سيئاً جداً في الاونة الاخيرة.

فحزنت خالك.

ذهبت هاريت الى المتجر صباح الاثنين بعدما تأكدت ان سوزان

ستكون على ما يرام اثناء غيابها لساعات، وهي تلهو بلعبة الرسوم المقطعة

التي اعازها اياها تشارلز.

رن الجرس الصغير عندما فتحت هاريت الباب، واق تشارلز بنفسه

ليستقبلها هاتفاً:

- هاريت! لم اتوقع قدومك اليوم.

اقتلت الباب وراهها وقالت:

- اجل، اعلم انك لم تتوقع قدومي. لكن ساق سوزان المقطعة تمنعنا من

القيام بأي نشاط. لذلك افضل العمل على الجلوس في البيت.

فهم تشارلز قصدها لكنه لم يعلق. كانت هاريت مسرورة، فكفى ما

دار بالأمس من مصارحة، اما اليوم فتريد ان تملك بحبل حياتها، وتحاول

ان تنسى الذي جرى. انها لا تستطيع العودة الى اندريه بعد الطريقة التي

عاملته بها، ومن المستحيل ان يعود هو اليها.

اتصلت والدتها مساء الاثنين للاطمئنان عن سوزان وتكلمت معها ولم

تحرص سوزان على عدم تكدير جدتها، لأنها طفلة ويسمح لها باكثر مما

يسمح للبالغين.

وحين انتهت المكالمة بدت سوزان قلقة فنظرت اليها هاريت بقبول

لكن الفتاة اكتفت بالشهد وجاست في مكانها على الاربكة. فسألته خالتها

وقد اصبحت على دراية اكبر بمزاجها الحساس:

- ما الذي حدث؟

انكأت الطفلة على الوسادة واجابت بتجهم:

- لا شيء.

لكن هاريت لم تصدقها وسألته:

- هيا، خبريني، ماذا قالت جدتك؟

فقصت بريقها وردت:

- لم تقل الا القليل.

ثم تهدل كتفاها واردفت:

- هل بإمكاننا زيارة جدتي؟ انها قلقه جداً عل ساقى .

نظرت اليها خالتها متعجبة وقالت:

- هل ترغين بالذهاب الى غيلفورد؟

توردت الفتاة وقالت:

- ليوم واحد فقط، نستطيع احتمالاه؟ اقصد، الا ترغين بمشاهدة

والدتك؟

حاولت هاربيت ان تكون صبورة وسألتها:

- هل تشعرين بالضجر هنا؟ اهذا ما يقلقك؟ ان كان ما اقوله صحيحاً

فتكلمي يا حبيبي . اني افهم انك لا تتمتعين بالعطلة ولكن حتى تشفى

ساقك لا نستطيع عمل شيء .

هزت سوزان رأسها قائلة:

- لا احس بالضجرا اني احب هذا المكان . لكن جدتي قالت انها

اشترت لي هدية .

بدأت هاربيت تفهم سبب قلقها وسألت:

- لماذا لم تقولي ذلك منذ البداية؟

بدأت سوزان مرتبكة وغمغمت اخيراً:

- انه كلب .

ذهلت هاربيت وكررت:

- كلب! من كان ليظن حصول هذا!

- ماذا تقصدين يا خالتي؟

- جدتك لم تسمح ابداً للحيوانات بدخول البيت لكن من الواضح انها

كسرت القاعدة من اجلك .

فهمت سوزان بانفعال:

- انه امر سار . اليس كذلك؟ ساصطحبه في نزهات، وجدتي تقول انه

بإمكان ان ادربه بنفسه عندما اتعافى . هل بإمكانك تربيته هنا؟

- كلا اذ لا يسمح بتربية الكلاب في الشقق، وجدتك تعلم هذا .

عبست سوزان قائلة:

- يا الهي، لن نقبل جدتي ان تعتنى بالكلب لمدة شهر .

- كان عليها ان تأتي به في آخر الفصل .

اجابت الصغيرة:

- لكنها ظنت ان لدي متسعاً من الوقت في العطلة لكي ادريه .

نهضت هاربيت وقالت:

- والان، ما العمل؟

تهددت سوزان بكآبة وحزنت خالتها لحالها، لم تكن غلظتها فالسيدة

انغرام تعمل ما يحلو لها .

قالت لابنة اختها:

- من الأفضل ان تعودى الى بيت جدتك . انها على حق فانت تستطيعين

تدريب الكلب في اثناء العطلة .

ردت سوزان بارتياح:

- هل حقيقة تعتقدين ذلك؟ لا اريد ان اتركك .

- لا تقولي هذا يا حبيبي . لقد نلت اجازتي والان من الأفضل ان اعود

الى العمل . اذعبي انت وتمتعي بهديتك .

لم يكن النهار الذي قضته عند اهلها في غيلفورد نهراً بسيطاً . اخذت

هاربيت ملف سوزان الطبي لتعطيه للطبيب هناك، وكان عليها ان توضح

كيفية تنظيف الجرح لوالدتها التي صعقت عندما رأت المنظر وهفت:

- يا للبنية المسكينة!

وعطفها المتزايد كاد يحمل سوزان على البكاء .

اما الجروح فكان متعة للعين واحست هاربيت بالارتياح في طريق عودتها

بعدما تركت سوزان وهي تلاعب الكلب قرب المدفأة .

لم تبق سوزان عند هاربيت لوقت طويل حتى تعتاد عليها . وبعد ايام

عادت الى روتين حياتها، انما لم تستطع ان تنام جيداً ولا ان تأكل بشهية،

وفي اوقات يقظتها لم يساورها الا فكر واحد هو انها قضت على املها الوحيد

في ايجاد السعادة . ولو استطاعت ان تعيش الاسابيع الماضية في فرنسا ثانية،

وهي تعلم ما قاله لها تشارلز، لاختلف الامر تماماً .

في بعض الاوقات كانت تفكر بالعودة الى رويشلاك . لم تطلب بعد من

الوكيل بيع البيت . وتصورت دهشة اندريه لو علم انها تعيش فيه مرة

ثانية . لكن عندما تتصور انه من الممكن ان يعاملها كما عاملته هي، كانت

ترفض ان يحدث ذلك . لا جدوى، فهي لا تملك الشجاعة الكافية على

العودة وعلى طلب ما كانت ترفض الحصول عليه.

وفي احد الأيام حصل شيء غير متوقع. كانت تلمي طلبات احد الزبائن، عندما فتح الباب ودخل بول لاروش. نظرت صوبه واتسعت عينها من الدهشة والخوف عندما رآته. كان يرتدي بنطلون جينز وقميصاً رثاً، لا يختلف عن اي شاب تراه على الطريق. لكنه لا يشبه بالتأكيد الزبائن الذين يترددون على المتجر. كان تشارلز يعلم ان هاربيت مشغولة فأق من الغرفة الخلفية ثم عبس عندما شاهد الصبي. وقال له: نعم؟

كانت هاربيت تحاول التركيز على العمل بين يديها لكنها سمعت اللهجة الرادعة في صوت تشارلز فأيقنت انه سيتخلص من الشاب. استأذنت الزبون الذي كان يتأمل شمعداناً اثرياً ووقفت بين الرحلين. نظر اليها تشارلز بصبر نافذ فقالت له بسرعة:

- هل تعرف ابن اندريه يا تشارلز؟

بدا تشارلز مندهشاً فاستدارت هاربيت نحو بول ولاحظت كم فقد الصبي من وزنه ومن غطرسته السابقة، وربما المشهد الذي رآه بينا وبين والده قد غير مشاعره تجاهها. وخاطبته بعفوية:

- هل تبحث عني؟

وتساءلت بخوف ان كان حصل شيء لاندريه، فأجابها بول:

- اجل.

وابتسم لتشارلز الذي كان يستعيد رشده، ثم ركز اهتمامه على هاربيت وقال لها:

- هل بإمكانك ان اتكلم اليك؟

فقال تشارلز:

- بإمكانك استعمال مكثي.

لكن هاربيت لاحظت اضطراب بول فقالت لتشارلز:

- بل سنذهب لتناول بعض القهوة.

وشدت ذراع تشارلز وهي تمر به ليفهم ثم تبعت بول الى الخارج. كان النهار مشمساً فمشيا باتجاه الحديقة العامة. اقترحت هاربيت ان يشتريا بعض الكعك والعصير. التهم بول الكعكة كأنه يموت جوعاً،

فأحست بالآلم وهي تراقبه وسألته:

- متى تناولت الطعام لآخر مرة؟

فأحر وجه الشاب واجاب:

- يوم امس.

تهددت واعطته كمكثي التي اكلها بالطريقة نفسها. جلسا على مقعد في الحديقة وادارت هاربيت نحوه نظرات متسائلة وقالت:

- ماذا تفعل في لندن؟

فتح بول علبه العصير قبل ان يجيب:

- لقد هربت.

فصاحت به:

- ماذا؟ ولماذا فعلت هذا؟

- هربت منذ عشرة ايام تقريباً وفي تلك الليلة التي وجدتك مع ابي!

حدقت اليه باندهال وهمست:

- ايه، كلا! ولكن يا بول...

- لا تغضبي ولا تلومي نفسك. كان علي ان اصدق... لكنني

هربت...

شرب بعض العصير وكانت هاربيت تفكر بما ستفعله فسألته:

- هل يعلم والدك أين انت؟

هز رأسه قائلاً:

- لا اظن.

- اذن فهو مشغول عليك الى حد الجنون!

- اجل.

بدا بول جاداً فانفجرت متهتف بتذمر:

- الا تبالي؟

فرد عليها بصدق:

- وهل تبالين انت؟

عندها احمر وجهها وقالت:

- اننا لا نتكلم عني.

- بل نفعل، لأنك هربت ايضاً. أليس كذلك؟

فحدقت اليه وسألته:

- كيف عرفت أنني عدت الى لندن؟

- لأنني لم أجدك في البيت. وابن ستكوينين اذن؟
تملكتها الحيرة فسألته ثانية:

- وضح لي من فضلك، ماذا كنت تفعل في البيت؟
تنهد بول وقال:

- حسناً، قضيت الليلة في القصر عندما شاهدتكما معاً لأنني عرفت ان
والذي لن يبحث عني هناك وكان يلزمي وقت للتفكير. في اليوم التالي
ذهبت الى عمتي في سارلات. لم تشك في امري لكنني فهمت اني لا
استطيع البقاء طويلاً. فعدت الى روشلاك لأنني اردت مشاهدتك
والتحدث اليك. ولما لم أجدك هناك قررت السفر الى لندن.

هزت هاربيت رأسها وكأنها لا تصدق وقالت:

- وهل لديك جواز سفر؟

فهز رأسه نقياً:

- اذن كيف كنت تعيش؟

- استندت بعض النقود من عمتي، وبواسطة النقل المجاني وصلت الى
ديجون في سيارة شحن، ثم اختبأت في المركب الى هنا.

كان يبدو فخوراً بما فعل لكن هاربيت ارتعبت وشحب وجهها مما جعل
بول يسألها عن السبب فطمأنته قائلة:

- انني بخير ولكن كيف تتصور حالة ابيك الآن؟

فأحى كنفية ولا حظت كم ضمرتها عن السابق. اجابها:

- لست ادري، ربما هو لا يبالي.

- انت تعلم ان ما تقوله ليس الحقيقة، فهو تبعك في تلك الليلة ليحاول

ان يشرح لك الأمور...

وفهمت لماذا لم يعد اندريه اليها...

تنهد بول ثم سأل:

- وانت لماذا هربت؟

فقال تنكر الحقيقة وهي تعلم انها تنكرها:

- انا ما هربت بل جئت بسوزان الى بيتي هنا.

- لكن والذي يهتم بك اليس كذلك؟ هل تبادلته نفس الشعور؟

بدت حائرة القوي وقالت بصراحة:

- اجل ابادلته الشعور ذاته. هل هذا ما اردت سماعه؟

قطب بول حاجبيه قائلاً:

- كنت ارجب دائماً في المجيء الى لندن، لكن والذي لم يسمح لي ابداً.

لقد اتخذت عذراً.

- فهمت.

- اما الآن فأريد العودة الى البيت.

اخفت ارتياحها وسألته:

- كيف وجدتي يا بول؟

- وجدت اسم والدتك في دليل التلفون واستعملت آخر نقودي لاتصل

بك. لكن امرأة اخرى ردت علي تدعى السيدة بيرنز، اعطتني عنوانك

هنا، فجتت كما ترين.

تنهدت هاربيت قائلة:

- اوه، بول!

- كانت مغامرة شيقة أليس كذلك؟

- كيف ساعدك الى فرنسا وانت لا تملك جواز سفر؟

نظر اليها بول متوسلاً وقال:

- ستجدين طريقة، انني واثق من ذلك.

وتساءلت هاربيت، هل جاء الى لندن لمقابلتها ام لكسب عطفها؟ لكنه

اراد ان يأتي الى لندن وربما لم تعجبه. في كل حال، انها مدينة لاندريه باعادة

ابنه الى البيت، والشخص الوحيد الذي يمكنه ايجاد طريقة هو تشارلز.

- اظنك تبحث عن بول.
ثم ارتعدت عندما اجتاز الغرفة باتجاهها وهزها من كتفيها قائلاً بوجوم:
- بول! هل رأيت بول؟
كانت عيناه تلمعان ببريق غريب واحست هي بحيرة شديدة فردت
متلعثمة:

- انا ... اجل لقد رأيته.
- ولم تفكري في ان تعلميني بذلك؟
تركها بخشونة فجائية كادت تفقدها توازنها واردف:
- ولماذا تتصلين بي ما دام الامر لا يهمك، اليس كذلك؟
نظرت اليه بخواء ومدت يدها لتمنعه من الانصراف وقالت:
- انتظر يا اندريه، لم يكن عندي وقت لاعلمك. رأيته لأول مرة اليوم!
- ماذا؟
واستدار ليحدث فيها غير مصدق كلامها فتملكها الارتباك واجابت
بصدق:

- هذا صحيح، اقسم لك. لقد اتى الى المتجر صباح اليوم.
تنفس اندريه بصعوبة وقال وهو يمرر اصابعه المرتجفة في شعره:
- لقد فشتت عنه في كل مكان. يا الله، كيف اتى لندن؟
فأخبرته هاربيت قائلة:

- اتى الى ديجون ثم اختبأ على المركب.

- يا الهي، وأين هو الآن؟

- انه يقضي الليل عند تشارلز.

- هو كني؟

- نعم.

وحركت كتفيها متابعة:

- لقد جئت لتوي من هناك، هذا سبب تأخيري.

- وهل هو على ما يرام؟

- بول؟ اجل انه يرغب في العودة الى البيت. وقد اهتم تشارلز

بالترتيبات اللازمة لذلك.

كان اندريه كأنه لا يصدق ما يسمع، فأشارت هاربيت نحو المقعد وهي

١١ - وانقشع الضباب

تركت هاربيت منزل تشارلز في وقت متأخر، حيث امضت امسية طويلة
مع بول بينما كان تشارلز يتصل ببعض الاصدقاء في وزارة الخارجية ويحاول
تفسير الامور للمراجع المختصة. تقرر سفر بول صبيحة اليوم التالي على
متن طائرة ثم يستقل سيارة تنتظره في المطار لتأخذه الى البيت. طلب تشارلز
من الشاب ان يقضي الليلة عنده، الامر الذي اراح هاربيت. وبالرغم من
ذلك احست بالارهاق عندما وصلت الى شقتها. ثم رأت سيارة والدها
متوقفة امام البناء ففكرت باعياء، ماذا الآن، ماذا يفعل هنا في هذه الساعة
المتأخرة؟

لم يكن في السيارة وادركت ان حارس البناية قد ادخله الى الشقة.
استقلت المصعد وعندما وصلت الى المرمر، رأت في الظلام رجلاً متكئاً على
الحائط. كتمت صرخة خوف. ولكن حتى في الظلام عرفت انه اندريه
ونظرت اليه بشغف. فقال لها:

- لقد تأخرت.

كلماته الباردة اعادتها الى الواقع فاحمر وجهها. ماذا يفعل هنا؟ هل اتى
باحثاً عن بول؟ وان فعل لماذا يفترض انها تعلم شيئاً عن الموضوع؟ بحثت
في حقيبتها عن المفتاح وفتحت الباب ودعت اندريه الى الدخول. سبقته الى
البهو لتضيء النور. تبعها اليه ومن ثم الى غرفة الجلوس حيث نزعته
سترتها. كانت متضايقاً لأن شعرها مبعثر وعلى كم قميصها الحريري بقعة
دهان. اما اندريه فكان يرتدي بزة رمادية في غاية النظافة، ويبدو مرهقاً
منشغل البال. قالت له بصوت اعلى قليلاً من المعتاد:

تساءل، اذا لم يأت اندريه الى هنا بحثاً عن بول، اذن لماذا اتى؟ وغمغمت
بملطف:

- ارجوك، تفضل بالجلوس، سأحضر القهوة.

هز رأسه كأنه دائخ وقال وهو يتقدم خطوة منها:

- يجب علي ان اعتذر...

لكن هاربيت اسكتته قائلة:

- لا حاجة...

- حسناً. اعذري ان كنت قد روعتكَ، لكن هذا الاسبوع كان رهيباً.

لاحظت الألم في عينيه عندما تابع قائلاً:

- أولاً بول، ثم انت! اعجب كيف لم افقد عقلي بعد.

فردت بصوت مرتجف:

- اوه، اندريه، ماذا تفعل هنا؟

- يجب ان تفهمي ان الوقت متأخر واني متعب، لكن كان علي ان اراك.

لقد انتظرتك ساعتين تقريباً.

فشدت على خصلة من شعرها بشرود وسألته:

- السيارة التي تقف في الخارج، اهي سيارة والدي؟

- اجل، لكن لا تطلبي مني ان اشرح لك... ليس الآن، دعيني فقط

انظر اليك.

اسودت عيناه، واحست بضعف في ركبتيها وهي تلفظ اسمه باحتجاج

انما لا شيء استطاع ردها عن لمس وجهه المهرق. قال وهو يتنفس بعنف:

- لقد تركتني اكثر من مرة، فلماذا استمر بالعودة؟

بللت هاربيت شفيتها بلسانها وهمست:

- قل لي انت السبب.

- لقد كتبت لشارلز. ألم يخبرك؟ لكنه لم يجب فاعتقدت انك قد تزوجت

فروضت نفسي على الفكرة، الى ان ظهرت مجدداً كملاك منتقم وحطمت

راحتي النفسية الى الأبد.

- اوه، اندريه، يجب ان تصفح عني...

- اسامحك، لماذا؟

هز رأسه بمرارة وتابع:

- لانك تركتني عندما كنت في امس الحاجة اليك؟

ارتجفت هاربيت وقالت:

- لم استطع اعلامك.

- لقد تسلمت رسالتي وكان باستطاعتك اجابتي عبر رسالة المزداد.

- اندريه، كنت متزوجاً! وقلت ان لا مجال للطلاق.

- اللعنة! انني اعلم، اعلم... لكن كان عليك ان تفهميني ان الحالة لم

تكن حسياً تظنين. اعلم انك تصورين انني اسأت معاملة زوجتي، ربما

انت على حق لكنها لم تعلم.

استدار فجأة وتابع وهو يمسد عنقه بيده المتعبة:

- كانت مريضة... تعاني من مرض عقلي. وقضت آخر اثني عشرة

سنة من حياتها في مستشفى للأمراض العقلية!

- انني اعلم.

فنظر اليها مستغرباً وقال:

- تعلمين!

- قام تشارلز بالاستقصاءات اللازمة بعدما كتبت اليه.

- اذن عرفت!

بدا على وجهه عذاب مرير فسارعت الى القول:

- عرفت هذا منذ بضعة ايام فقط.

تقدمت منه بشوق واطافت:

- اندريه! اندريه، تصورت انك لا تهتم! انك لن تهتم ابداً.

فغمغم وهو يمرر اصابعه في شعرها:

- كنت فتاة صغيرة وجميلة، فلم اسمح لنفسي ان اطلب اليك هدر

شبابك في انتظاري.

- وأي هدر هذا، ليتك اعلمتني!

تهند اندريه:

- لم استطع ذلك، اذ لو اخبرتك لصممت ربما على انتظاري، ولربما

اضجرك الانتظار، وما كنت لأطبق ذلك.

- اوه اندريه!

نظر الى فمها وسألها بركة:

- هاريت . . . الا تريدان ان تعرفي سبب وجود سيارة والدك في الخارج؟

- اذا اردت ان تخبرني . . .

- تحركت شفتاه بكسل:

- الا تريدان ان تعرفي انني عدت لأصطحبك معي؟ وانني قلت لوالدك انني اتوي الزواج منك؟

- اتسعت حدقتاها وقالت وهي تركع قربه وترمقه بشغف:

- عدت لتطلب مني هذا يا اندريه؟

- فأجابها:

- تلك الليلة، في البيت، قبل ان يقاطعنا بول. لا تنكري ان حبك لي كان ظاهراً.

- احمرت وجنتاها واعترفت له بحبها.

- فتهد بصبر نافد وقال:

- ولكنك هربت.

- كان علي ان اهرب . . . شعرت بالحجل. لم اثق بك ولا بنفسي.

- اوه هاريت، لبتك سمحت لي بأن اوضح الاشياء . . .

- فأجابته وهي تلمس خده بأصابعها الدافئة:

- تشارلز فسر كل شيء بالنيابة عنك.

- اشكر الله على وجود تشارلز! (ثم ابتسم لها بدهاء واردف:)

- لقد ذكرت شيئاً عن القهوة.

- فنهضت وتبعها الى المطبخ ووقف ينظر اليها. كان قد خلع سترته

فحدقت اليه وهي تفكر انها لم تحس بقوة حبها له مثل الآن. قال:

- لم تتعجب والدتك عندما رأتي.

- وماذا قالت؟

- سألتني لماذا اردت مقابلتك واعتقد ان اباك ادرك قصدي.

- لكن لماذا ذهبت الى غيلفورد؟

- كان المتجر مقللاً والساعة تناهز الخامسة . . .

- اجل، لقد اقبل تشارلز مبكراً من اجل بول.

- تذكرت ان والدك يسكنان غيلفورد، فأخذت القطار الى هناك.

فأكملت عنه:

- ووالدي اعارك سيارته لتأتي بها الى هنا؟

- عندما اكدت له نواياي الحسنة.

- وماذا عن بول؟

- تنهد اندريه، فقالت:

- انه يعلم بعلاقتنا.

- رأنا معاً، هل هذا ما تقصدان؟

- فردت بارتباك:

- كلا . . . انا . . . انا اخبرته انني احبك.

- وماذا اجابك؟

- لم يستغرب الأمر.

- اجل، لم يستغرب، ففي تلك الليلة . . . حين قصدتك لأدعوك الى

العشاء معنا، قلت له وللوزير عن شعوري نحوك.

- اوه، اندريه!

- لا احبه صدقني. ربما لذلك اتى الى البيت. في كل حال اختفى تلك

الليلة ولم اراه بعد ذلك.

- قال لي بول انه امضى تلك الليلة في القصر، وفي اليوم التالي ذهب الى

سارلات.

- شقيقي، اجل، سمعت بذلك . . . هاريت، امضيت الاسبوع وانا

ابحث عنك. اردت ان اتبعك في الحال لكن ضميري لم يسمح لي. كأن

علي ان اجد بول أولاً. وفي الأخير لم استطع الانتظار اكثر، وماذا وجدت؟

وجدت انك عثرت على ابني!

فصححت له بلطف:

- كلا، هو الذي عثر علي.

- واخبرته كيف وجد بول عنوانها.

- شرعت القهوة تغلي في الابريق لكن هاريت لم تلاحظ. قال اندريه:

- اريدك ان تأتي معي الى فرنسا . . . معي ومع بول.

- . . . سناً، اذا كان هذا ما تريد.

- حبيبي، انت تعلمين ماذا اريد بل ماذا اردت دائماً. ولكن يجب ان

اتكلم أولاً عن آيرين . . .

- آيرين؟ زوجته؟

تهند قائلاً:

- اجل. لن اكذب عليك بالقول انني لم اكن احبها. كنت اراها رائعة
وكنت شاباً في مستقبل العمر. . . لم تظهر عليها اعراض المرض الا في وقت
لاحق.

فوضعت اصابعها على شفثيه وقالت:

- لست مضطراً الى اخباري . . .

فاجابها انه يريد ذلك، وتابع:

- اشياء كثيرة حدثت منذ تزوجنا. لقد خسرت آل روشفور الكثير اثناء
الثورة. كنا اغنياء، والآن اصبحت مجرد مزارع.

- انتظني ان الامر يهمني؟

- اظن انك تحبيني . . .

- اجل.

- وانا احببتك وسأحبك حتى النهاية. هل يكفي هذا؟

- وماذا اريد اكثر؟

- هناك شيء واحد يجب ان اضيفه. ان الطبيب الذي عالج آيرين في
ذلك الوقت قال ان الحمل زاد حالتها سوءاً.

- لا يهم هذا يا حبيبي.

اجابها وعيناه تتقدان حباً.

- الامر مهم بالنسبة الي، فلا احتمل ان يصيبك مكروه، والحمل شيء
مشؤوم في حياتي. لقد تعذبت آيرين كثيراً، وأنت . . .

- لماذا تقول هذا يا اندريه؟ الا تريد ان يكون لنا اطفال؟

- ربما.

فأخفت وجهها في صدره وهمست بصوت أجش:

- حاول ان تمنعني!

- لا احسبني استطيع ذلك!

فابتسمت ورفعت اليه وجهها المشرق بالهناء والاخلاص، فيها زينت
شفثيها ابتسامة عذبة.